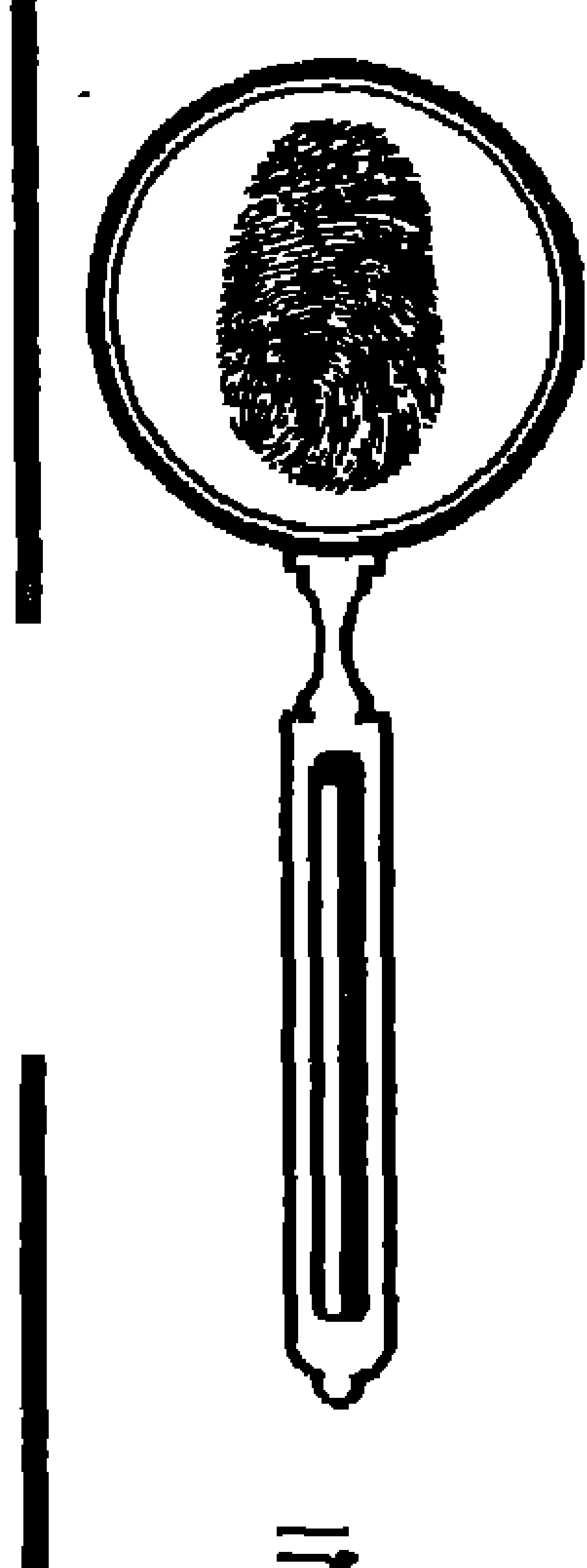


قصص بوليسية للأولاد





١٧٥

المغامرون الثلاثة فى

لغز سر المجنون

بقلم : مجدى صابر



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مسكن جديد


عـامر

كان ذلك اليوم صاخبًا بالنسبة للمغامرين الثلاثة عامر وعارف وعالية ، وحتى كلبهم الأسود « روميل » ، الذى راح يشاركهم عملهم بنباحه المتواصل وذيله الذى لم يكف عن الاهتزاز لحظة واحدة .

وكان والدا المغامرين قد قررا الانتقال إلى مسكن آخر فى مدينة نصر بسبب هدوئها وهوائها النقى ، بعيدًا عن الضجيج والهواء الملوّث بعوادم السيارات وغيرها فى قلب العاصمة .

وكان المسكن الجديد عبارة عن فيلا صغيرة من دورين تقع فى نهاية شارع « الطيران » فى الحى السابع ، وتحيط بها حديقة غناء وارفة الظلال ، وممتلئة بجميع أنواع الأشجار والورود الجميلة .

وفى ذلك الوقت من العام — بداية الصيف — بدت تلك

الحديقة كأنها الجنة بأشجارها الظليلة وورودها الجميلة . انهمك المغامرون فى حمل الأشياء الصغيرة إلى عربة النقل الضخمة المنتظرة أمام باب مسكنهم القديم ، والتى ستحمل الأثاث إلى المسكن الجديد « بمدينة نصر » ، بينما راح العمال المختصون فى شركة النقل ينقلون قطع الأثاث الكبيرة والثمينة إلى داخل عربة النقل .

وهكذا راح « روميل » يقفز هنا وهناك حول المغامرين أثناء صعودهم داخل الفيلاَّ ثم هبوطهم إلى عربة النقل ، وكأنه يشاركهم عملهم مُبديًا ملاحظة — على شكل نباح — من وقت لآخر وعيناه تبرقان فى مرح .

وأخيرًا انتهى المال من نقل قطع الأثاث الكبيرة داخل عربة النقل ، بينما لايزال المغامرون ينقلون أشياءهم الصغيرة التى بدت وكأنها لا تنتهى .

وكان عامر يحمل صندوقًا كبير الحجم ويسير به فى صعوبة ، عندما جاء صوت والدته من الخلف يقول :

— عامر . ألم أخبرك أن تتخلص من هذه الكراكيب ولا تنقلها للعربة ؟

رد عامر فى رجاء : ولكنها أشياء هامة يا والدتى .

قالت والدته فى حزم : أشياء هامة !! تقول عن بضع جرائد قديمة وأحبال وأقنعة ممزقة وبضع أحذية بالية : إنها أشياء هامة ؟ !

وهنا اضطر عامر آسفا أن يترك الصندوق شاعرًا بحسرة إزاء محتوياته (الثمينة) ، والتى شاركت المغامرين ألغازهم السابقة ، فصارت عزيزة عليهم لا يستطيعون التخلص منها !

ولم يكن بقية المغامرين – عارف وعالية – فى حاجة إلى تحذير آخر من والدتهم ، فتركوا وراءهم أشياءهم القديمة . وهكذا انتهوا هم الآخرين من نقل أمتعتهم إلى العربة الكبيرة .

وجاء صوت والدهم يقول : هل انتهيتم من نقل حاجياتكم ؟

رد الثلاثة فى صوت واحد : نعم يا والدى .

ثم اتجه الجميع إلى سيارة الأسرة ، وألقوا نظرة وداع أخيرة للمسكن الذى شهد الكثير من مغامراتهم وألغازهم ، ورانت لحظة صمت قصيرة قبل أن يغادروا المكان . وحتى « روميل » بدا وكأنه يشاركهم صمتهم احترامًا لمشاعرهم فراح يهز ذيله فقط مكتفيًا به عن النباح .. ولكن ما أن ابتعدت السيارة بضعة أمتار حتى راح ينبح من جديد فى سعادة .

وكانت دادة « أم محمد » قد أخذت أجازة لمدة أسبوع لتزور والدتها المريضة فى قريتهم بالفيوم ، على أن تعود فى نهاية

الأسبوع القادم إلى العمل فى منزل الأسرة الجديد بـ « مدينة نصر » .. فلم تشاركهم بهجة الانتقال إلى المسكن الجديد !

* * *

واستغرق نقل الأثاث إلى داخل الفيلا الجديدة حوالى ساعتين ، وما أن انتهى العمال من ذلك حتى هبط الظلام ، فتمدد المغامرون فوق الأسرّة التى أقيمت على عجل وراحوا فى النوم من شدة التعب .

وفى الصباح تعاون الجميع فى إعادة تأثيث المفروشات والأثاث ، وما أن حل الظهر حتى انتهوا من تأثيث الفيلا بالكامل .

وتنهدت عالية وهى تقول : أخيرًا انتهينا من هذه المهمة الشاقة .. دعونا نستكشف الفيلا بالكامل .

وافق عامر وعارف ولم يعترض روميل بالطبع ، وأخذ المغامرون يجوسون داخل الفيلا الجديدة مستكشفين كل جزء فيها .

وكانت الفيلا تتكون من طابقين من الداخل يصل بينهما سلم داخلى . والدور الأرضى عبارة عن صالة واسعة وغرفة مطبخ وحمام وقاعة استقبال وأخرى كبيرة للضيوف ، بينما الدور العلوى يتألف من خمسة غرف للنوم وصالة واسعة وغرفة صالون ومكتبة كبيرة ..

وكان هناك سلم صغير يصعد من مؤخرة الفيلا إلى السطح الذى يحتوى على غرفة خشبية واسعة .

وانتهى المغامرون من استكشاف الفيلا ، فاقترح عامر أن يقوموا باستكشاف المنطقة حول الفيلا فوافق أخوه وأخته .

وكانت الفيلا تقع فى تقاطع شارع الطيران مع شارع « حافظ بدوى » .. ومعظم أحياء المنطقة مازالت مبانى لم تستكمل بعد ، ويخيم عليها الهدوء والصمت . وبعد أن انتهى المغامرون الثلاثة من جولتهم حول الفيلا ، صعدوا إلى السطح مرة أخرى وراحوا يتفحصون الغرفة الخشبية المقامة فيه ، وقالت عالية :

– هذا ما كنا نحتاجه بالضبط !

قال عارف فى تساؤل : ما الذى كنا نحتاجه يا عالية ؟

عالية : هذه الحجرة الخشبية تصلح تمامًا لتكون مقرا لاجتماعاتنا بعيدًا عن المنزل ، فهنا فوق السطح فى هذه الغرفة نستطيع أن نناقش أمورنا ونضع الخطط وغيرها .

قال عامر فى حماس : فكرة رائعة يا عالية . وأيدها عارف أيضًا فقالت عالية :

– إذن سنأتى بحاجياتنا الخاصة ونضعها بالغرفة .

قال عامر : مهلا يا عالية . فالغرفة بحاجة أولاً إلى تنظيف وإعادة طلاء .

ردت عالية : لا بأس . يمكننا أن نبدأ بالتنظيف الآن ثم نعيد طلاءها .

وكان فى أحد أركان الغرفة الخشبية مجموعة من قطع الأخشاب المختلفة الأحجام والمسامير علاوة على شبكة صيد قديمة للسمك . فاقترح عامر التخلص من هذه الأشياء ، ولكن عالية قالت معترضة : اتركها يا عامر . قد تكون هذه الأشياء مفيدة فلا داعى للتخلص منها ، وأرى أن نحتفظ بها فى ركن الحديقة الخلفى .

وكان هناك سلم يصل ما بين السطح والدور الثانى فهبط منه المغامرون لداخل الفيلا ، وعادوا يحملون مكنسة وجردل ماء وتعاونوا فى تنظيف الغرفة . وما أن انتهوا من ذلك حتى أحضر عامر فرشاة وعلبة بوية وراح يطلى الغرفة .

وبعد أن انتهى المغامرون من طلاء الغرفة قال عامر وهو يمسح العرق الذى تفصّد على جبينه : سنتركها يومًا أو يومين حتى تجف ثم ننقل حاجياتنا إليها .

ونبح « روميل » كأنه يذكرهم بشىء ما ، فقال عارف

ضاحكًا : لقد نسينا إقامة كوخ روميل فى ركن الحديقة ، وهو يذكرنا بذلك .

عالية : دعونا ننتهى منه أيضًا .

وقام المغامرون بتثبيت كوخ « روميل » فى أحد أركان الحديقة تحت بعض الأشجار الظليلة ، وعندما انتهوا من ذلك كان الظلام قد حل على المكان .. فاتجهوا إلى داخل الفيلا ، ثم أخذ كل منهم دشا باردًا ، وجلسوا بعدها لتناول العشاء .. وبعد قليل كانوا يغطون فى النوم أيضًا لشدة تعبهم !

المجنـــــون


عالية

استيقظت عالية من نومها متأخرة . وكانت الساعة تقترب من العاشرة صباحًا عندما فتحت عينيها . ولم يكن هناك ما يشغلها فى ذلك الصباح ، خاصة وأنها تعلم أن والديها قد ذهبا لإنجاز بعض الأمور المتعلقة بأعمالهما .

وعندما لم يأتها صوت ما من الحديقة أو من داخل الفيلا ، أدركت أن « عامر » و « عارف » قد خرجا فى جولة للمنطقة ، وإنهما قد اصطحبا معهما « روميل » ، والذى ما كان يتركهما يخرجان بدونه .. كما أن عامر وعارف لم يشاءا أن يوقظاها وتركاها نائمة .

تمطت عالية فى فراشها ولايزال خدر النوم يسرى فى عقلها ، وبعد دقائق بدأت تستعيد حيويتها ونشاطها .

قفزت من سريرها وانتعلت شبشبًا ثم اتجهت للحمام ،

فغسلت وجهها ثم نظفت أسنانها بالمعجون ، وبعدها أعدت بعض البيض المقلى ، وقليلاً من الزبدة والمربة وراحت تلتهم إفطارها فى شهية . وبعد الإفطار أحست بالجو الساخن فى الخارج فقررت عدم الخروج من الفيلاَّ ، وأن تقضى بقية الوقت حتى يعود أخواها فى القراءة .

والتقطت إحدى الروايات التاريخية ، وجلست فى الفراندة الكبيرة والتى تطل على الحديقة ، وبها تكعيبة كبيرة من أشجار اللبلاب تحجب عنها أشعة الشمس ، وشرعت فى القراءة ، ومضى الوقت بسرعة دون أن تحس به عالية لشدة استغراقها فى أحداث الرواية المثيرة .. ثم تنبهت فجأة للصوت الذى سمعته من الحديقة ، فابتسمت وهى تظن أن أخويها قد عادا من الخارج ، فتركت الرواية وهبطت إلى الحديقة لتستقبلهما .

ولكن لم يكن هناك أحد من أخويها فى الحديقة فهتفت منادية : عامر .. عارف .. أين أنتما ؟

ولم يأتها أى رد ، فتعجبت عالية وتساءلت فى نفسها عن مصدر الصوت الذى سمعته فى الحديقة من الفراندة . كان أشبه بصوت شخص يطأ بعض الأغصان اليابسة بقدمه . وتساءلت فى دهشة ، هل كان ذلك الصوت هو صوت الهواء أو الريح ؟ .

ولكن الجو كان حارا ليس به نسمة هواء ، وابتسمت عالية وهى تقول لنفسها : لابد أن عامر وعارف و« روميل » يختبئون فى مكان ما لمفاجأتى .. وسأفاجئهم أنا من الناحية الخلفية للحديقة دون أن يرونى بدلاً من أن يفاجئونى هم !

وصعدت عالية الفيلا حتى السطح ثم هبطت من الناجية الخلفية عن طريق السلم الخلفى حتى الحديقة ، وسارت ببطء خلف الشجيرات وهى تحاذر أن تحدث صوتًا وهى تكتم ضحكتها .

واقتربت من إحدى الأشجار الضخمة فى مؤخرة الحديقة ، والتى كانت تصلح مخبأ كى يتوارى فيه عامر وعارف وتساءلت عالية فى دهشة ، كيف يستطيع « روميل » أن يسكت كل هذا الوقت بدون نباح ؟

وهزت رأسها فى دهشة وهى تواصل سيرها فى بطء . وفكرت لابد أن تفاجئهم الآن .

ونظرت خلف الشجرة الضخمة . ثم شهقت !

كان هناك رجل رث الثياب قد جلس القرفصاء عاقدًا يديه حول ساقيه ، ومحتميًا بظهره للشجرة وهو ينظر لعالية نظرات الخوف والهلع .

وقفت عالية لحظات تحدّق فى الرجل وهى لا تستطيع أن تتحدث وقد انعقد لسانها من المفاجأة ، وتساءلت فى دهشة : كيف استطاع هذا الشخص الدخول إلى الحديقة دون أن تراه ؟

وكم من الوقت قد مضى عليه وهو فى مكانه ؟

ولاحظت لأول مرة لحية الرجل الثابتة الطويلة وشعره الطويل المتسخ ، وأظافره السوداء بسبب قذارتها وطولها .

أخيرًا تمالكت عالية نفسها وقالت محدثة الرجل : من أنت ؟

ولكن الرجل لم يرد عليها وبدا عليه كأنه موشك على البكاء .

ولمحت عالية فى عينيه الدموع فرق قلبها واختفت على الفور من ذهنها كل الأفكار العدائية تجاه ذلك الرجل المسكين .

وفكرت ، لاشك أنه بائس مسكين يبحث عن مكان يأويه ربما اعتاد أن ينام فى حديقة الفيلا من وقت طويل ، وقبل أن ينتقلوا هم إلى ذلك المسكن : ولعله يتساءل هو الآخر كيف دخلت هى إلى نفس المكان ؟

وقالت فى نفسها : لاشك أنه يعتبرنى قد تعديت على أملاكه !

وقررت أن تعامله برفق وصبر . فمهما كان فهو ليس سوى بائس متشرد ليس له مكان يأويه .



وفجأة رأت عالية فى الحديقة رجل مجنون يجلس بجوار الشجرة .

اقتربت عالية من المتشرد ، وقالت له فى صوت هادىء : هل أنت جائع ؟

نظر إليها المتشرد برهة ثم خفض عينيه نحو الأرض ، وبدا كأنه تمثال لا حياة فيه .

قالت عالية له : انتظر .. سآتيك بشىء تأكله .لا تذهب .

ثم أسرعت إلى داخل الفيلا وراحت تعد بعض البيض المقلى والجبن البيضاء ، وأتت بشريحة كبيرة من البطيخ المثلج ، وكوب ماء كبير ، ووضعت كل ذلك فوق صينية وأسرعت عائدة للحديقة .. فوجدت المتشرد مازال فى جلسته كما تركته !

وضعت عالية الصينية أمامه وقالت له : كل !!

تنبه المتشرد أخيرًا للطعام الموضوع أمامه ، فنظر لعالية فى دهشة ثم مد يديه فى حذر إلى الطعام وهو يرمق عالية فى شك ، ثم راح يلتهم الطعام أمامه بسرعة كبيرة ، غير مبال باتساخ يديه ، ومستخدما أصابعه العشرة فى حشو فمه بالطعام ، وكأنه يخشى أن تغيّر عالية رأيها وترفع صينية الطعام من أمامه قبل أن يتم على ما فيها !

وفى دقائق انتهى الرجل من التهام كل ما أمامه ، ثم احتسى كوب الماء ومسح يديه فى قميصه المتسخ الممزق وعاد إلى صمته

ونظرته الحزينة ، وإن كانت ملامح الخوف قد اختفت منها وبقيت ملامح الحذر والترقب .

قالت عالية تحدث المتشرد : أخبرني من أنت . وكيف دخلت هنا ؟

ولكن الرجل العجيب لم يرد عليها بكلمة واحدة .

عادت عالية تقول : لا تخف . أنا لن أوذيك .

وبدا أن الرجل لم يسمع كلامها .

احتارت عالية فيما تفعله . وطاف بذهنها أن ذلك المتشرد ربما يكون أخرس لا يستطيع الكلام ، بل وربما أنه أيضًا أصم ولا يسمعها .

كان هذا هو التعليل المنطقي الذى فكرت فيه عالية ، فالرجل لم ينطق بكلمة منذ شاهدته . فكيف تتصرف الآن ؟

وتمنت أن يأتي عامر وعارف بسرعة فربما يستطيعان معًا أن يقرءوا ماذا يفعلان بهذا المسكين ، فراحت عيناها تتطلع بقلق إلى باب الحديقة بلا فائدة .

وفجأة انتفض المتشرد واتسعت عيناه من الرعب وراح يهذى بكلمات غير مفهومة ، وانتبهت عالية إلى الصوت الذى أثار

الرجل المتشرد ، كان صوت « شكمان » عربة يصدر أصواتًا شبيهة بطلقات الرصاص .

راح الرجل ينتفض وهو يصرخ : جعفر . لن أذهب معكم . سيقتلوننى . اتركونى .

وأخذ يحدّق فى كل مكان بالحديقة وعلى وجهه علامات الثورة والغضب ، وبدا فى عينيه نظرات جنونية . ثم خفت صوته وهو يقول فى توسل : لا أريد أن أذهب معكم . اتركونى .

لا أعلم . جعفر . حرام عليك يالطفى !

ووهن صوته وهو يردد : لا تعذبونى . لم آخذ شيئًا . لا أعرف شيئًا .

ثم ماتت الكلمات على شفتيه وراح ينتفض ويرتعش كأنما به حمى !

نظرت عالية إلى المتشرد فى دهشة . وتساءلت فى ذهول ما معنى الكلمات التى ينطق بها ، وهل هو مجنون لا يعى ما يقول . وهل هناك حقيقة مَن يعذبه . ومن هما جعفر ولطفى ؟

وفكرت لاهثة .. إن ذلك المتشرد ليس أصم أو أبكم ، على الأقل تأكدت من ذلك !

وعاد السؤال المهم يلح على ذهنها : هل هذا المتشرد المجنون ؟ . وهل كلماته تلك تعبر عن شيء ما يخفيه ؟

ثم تذكرت أن ذلك المتشرد لم يثر ويهذى بهذه الكلمات إلا عندما سمع صوت « شكمان » العربة المزعج ، ولابد أن هذا الصوت قد جعله يتذكر حادثة ما أو ذكرى معينة أثارت فزعه وخوفه .

وعاد المتشرد إلى هدوئه ثانية ، وراح يرمق عالية فى حذر ، وهو مازال على جلسته التى لم يغيرها .

أحست عالية بالقلق . وفكرت فى توتر ، ماذا لو كان هذا الرجل مجنونًا فعلاً ؟ .

ربما فكر أن يهاجمها فكيف تتصرف ؟

وهنا بدأت تحس بخطورة موقفها . .

قالت لنفسها : يجب ألا أدعه يشعر بالخوف من ناحيتى ، فربما يدفعه ذلك إلى حالة الإثارة التى كان عليها منذ لحظات .. وعلىّ أن أجعله يحس بالاطمئنان ناحيتى ، إلى أن يأتى عامر وعارف أو والدىّ ، ليتصرفوا مع هذا الشخص الذى تبدو على وجهه ملامح الجنون .

تحركت عالية تجاه المتشرد ومدت يدها تتناول الصينية الموضوعة أمامه ، واستدارت ببطء عائدة للفيلا ، وهى تحاذر أن تصدر منها حركة تنم عن قلقها .

وما أن دخلت الفيَّلا حتى وضعت الصينية على أقرب مائدة ، ثم وقفت مرتبكة لا تدرى كيف تتصرف . واتجهت إلى التليفون ورفعت السماعة . وطاف بذهنها العديد من أسماء الأصدقاء الذين يمكن أن تستعين بأحدهم . ولكن أقربهم كان على مسافة كبيرة من مسكنهم الجديد ولن يأتى بالسرعة الكافية ، وبينما هى فى حيرتها سمعت صوت نباح روميل .

خفق قلب عالية بسرعة واتجهت بسرعة لباب الفيلا فشاهدت عامر وعارف يدخلان الحديقة ومعهما روميل ، فصاحت فى سعادة : عامر . عارف . الحمد لله أنكما عدتما .. تعاليا فسأريكما شيئًا مدهشًا .

وبسرعة اتجهت إلى الشجرة التى كان يجلس خلفها المتشرد وهى تشير لأخويها أن يتبعاها بسرعة .

ولكن .. لم يكن هناك أثر لذلك المتشرد خلف الشجرة الكبيرة !

* * *

تساءل عامر في استغراب:

ماذا بك يا عالية ؟

ردت عالية في حيرة : لقد كان هنا قبل أن تأتيا بدقائق .

عارف : من هو ؟

ردت عالية : شخص رث الثياب وتبدو عليه علامات الجنون !



عـارف

تساءل عامر : وكيف دخل الحديقة يا عالية ؟

أجابته في حيرة : لا أدرى يا عامر ، لقد سمعت صوتًا صادرًا من الحديقة وكنت في « الفراندة » أقرأ إحدى الروايات ، فظننت أنكما أنت وعارف عدتما من الخارج ، وعندما هبطت للحديقة وجدت ذلك الشخص جالسًا خلف الشجرة ينظر لي نظرات غريبة .

عامر : ما شكله . صفيه لنا !

عالية : إنه في حوالى الأربعين من عمره ويرتدى ملابس بالية

وله لحية طويلة لابد أنه لم يحلقها منذ فترة ، وأظافره طويلة متسخة .

ثم أكملت قائلة :لقد أحضرت له بعض الطعام وشريحة من البطيخ المثلج ليأكلها !

ابتسم عارف وهو يقول : لابد أن الحر والوحدة قد أثرا عليك علاوة على الرواية التاريخية المثيرة التى كنت تقرئينها !

قالت عالية فى حدة : أنت لا تصدقنى يا عارف !

ولكن عارف هز كتفيه فى لامبالاة واتجه إلى داخل الفيلا .

قال عامر لعالية : ما الذى حدث بالضبط يا عالية ؟

عالية : كما أخبرتكما من قبل . لقد وجدت هذا الشخص جالسًا خلف الشجرة لا يتكلم ، ورحت أسأله عن اسمه وعن سبب وجوده هنا ولكنه لم يرد على .

قال عامر : ربما كان أخرس .

ردت عالية بسرعة : لا ، إنه ليس أخرس . لقد ظننت فى البداية أنه كذلك ولكنه راح يتكلم فيما بعد بكلمات غامضة .

نظرإليها عامر فى اهتمام وهو يردد متسائلاً : كلمات غامضة !!

عالية : أثناء محاولتى أن أجعله يتحدث بدون فائدة ، دوى في الخارج صوت شكمان عربة فى طرقعة مثل دوى الرصاص أو ما أشبه ذلك ، وهنا ثار ذلك المتشرد وظهر فى عينيه الخوف والرعب وهو يرد : اتركونى .. لا أريد أن أذهب معكم .. جعفر .. سيقتلوننى .. حرام عليكم .. لم آخذ شيئًا .. لا تعذبونى !

قال عامر فى اهتمام : هل تعتقدين أن صوت العربة المزعج أعاد لذهن هذه المتشرد حادثة معينة أثارت الخوف فى قلبه ؟

ردت عالية : هذا هو ما استنتجته أيضا .

قال عامر متسائلا : ولكن أين ذهب هذا الرجل ؟

ردت عالية فى حيرة : لا أدرى . فقبل مجيئكما بدقائق أحسست بالقلق وفضلت أن أتصل بأحد الأصدقاء ، وعندما اتجهت لداخل الفيلاّ ورفعت سماعة التليفون سمعت صوتكما فى الحديقة ، فهبطت مسرعة ولكن الرجل المتشرد كان قد اختفى .

قال عامر فى جدية : ربما كان مختبئًا فى مكان ما بالحديقة أو داخل الفيلاّ ؟

عالية : هل تعتقد ذلك ؟

رد عامر : هذا احتمال ممكن .. وسآخذ روميل وأبحث عنه فى الحديقة .

وسحب روميل وراح يفتش فى أرجاء الحديقة .

وخرج عارف من الفيلاّ وهو يمسك بيده الرواية التى كانت تقرؤها عالية وقال مبتسمًا :لابد أن أحداث الرواية أثرت عليك ففيها أحداث مثيرة وشخصيات غامضة تظهر وتختفى فجأة و ..

قاطعته عالية فى حدة : عارف .

نظر إليها عارف وعلى وجهه نفس الابتسامة فقالت عالية له : تعال معى لأريك شيئًا . واصطحبته للداخل ، وأشارت للصينية التى بها بقايا الطعام الذى تناوله المتشرد . وكان واضحًا على بقايا شريحة البطيخ التى نحتت لآخرها أن من تناولها كان شخصًا جائعا جدًّا !

قالت عالية : هل هذه تخيلتها أيضًا ؟

نظر إليها عارف فى حيرة وظهر عليه أنه يميل لتصديق عالية لأول مرة ، ودخل عامر إلى الفيلاّ وهو يقول : ليس هناك أحد فى الحديقة وسأبحث داخل الفيلاّ .

عارف : سأبحث معك .

وراح الاثنان يفتشان أنحاء الفيلاً بلا نتيجة .

وبعد أن انتهيا من البحث الذى لم يسفر عن شىء ، جلس ثلاثتهم فى الحديقة تحت ظلال التكعيبة العريضة .

وقال عامر : هل تعتقدون أن لكلمات هذا المتشرد أو المجنون ، إن كان مجنونًا ، معنى معين ؟

رد عارف : إن كان متشردًا فربما كان لكلماته معنى .. وإن كان مجنونًا فأعتقد أن كلماته بالتالى لن يكون لها معنى لأن المجنون لايعى ما يقول .

اعترضت عالية قائلة : لا يا عارف . فحتى لو كان هذا المتشرد مجنونًا فربما يتعطل عقله عن العمل وتختل موازينه العقلية ، ولكن عقله الباطنى والذاكرة يدفعانه لأن يفعل نفس الأشياء بنفس الترتيب السابق الذى اعتاد عليه .

ثم نظرت إلى أخويها وقالت : وهناك نقطة لها أهميتها ، فكلمات المتشرد لم تصدر منه إلا بعد أن أخافه صوت شكمان العربة ، وبالتالى فإن هذا الصوت مرتبط فى عقله الظاهرى أو الباطنى بأحداث مخيفة بالنسبة له .

قال عامر مكملاً : وعلى ذلك فإن هذه الكلمات تحمل دلالة

هامة ومعان معينة ، وأن الرجل المتشرد يخاف فعلاً من هذه الأحداث أو كراها .

قال عارف : ولكن ما معنى كلماته تلك ؟

ردت عالية : أعتقد أن هذا الشخص مطارد من آخرين قاموا باختطافه وتعذيبه لسبب نجهله ، وربما استطاع الهرب منهم والاختباء فى مكان ما !

عارف : ولكن شخصًا بمثل هذه الحالة لا يمكنه أن يبتعد كثيرًا .

عامر : هل تقصد أنه لايزال موجودًا قريبًا من هنا ؟

رد عارف : نعم ، وأقصد أيضا أنه إذا كان قد اختطفه أحد فإن المكان الذى كان مسجونًا به وتم تعذيبه فيه لابد أنه قريب أيضًا من هنا .

عالية : هذه نظرية معقولة !

عامر : إذن علينا أن نبحث عن جعفر ولطفى اللذين ذكر المتشرد اسميهما .

ردت عالية : هذا ليس أمرًا سهلاً . فالبحث عن أشخاص ليس مهمة المغامرين .

عارف : وما هو اقتراحك يا عالية . هل نترك الأمر هكذا !

ردت عالية :لا . لا أقصد ذلك ، وإنما قصدت أن نستعين بمساعدة خالنا العميد « ممدوح » فى هذا الأمر .

اعترض عامر قائلاً : لا يا عالية . فما الدليل فى أيدينا على صحة كلمات هذا المتشرد ، بل وما معناها الحقيقى ، فكل ما توصلنا إليه افتراضات لا تقوم على دليل مادى .

هزت عالية رأسها فى يأس وصمتت ، وشاركها عارف وعامر الصمت .

وفجأة هتفت عالية : انظرا . وأشارت بيدها للشارع .

نظر عامر وعارف حيث أشارت عالية . وفى الخارج شاهدا عربة كبيرة بيضاء كُتب عليها « مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية » ، وهى تسير باتجاه شارع « الطيران » الرئيسى !

قالت عالية فى حماس : إذن فالرجل مجنون وهذه هى عربة المستشفى تحمله إلى هناك !

عامر : ولكن كيف توصل العاملون فى المستشفى إلى مكان هذا المجنون ؟

ردت عالية : ربما اتصل بهم أحد الأشخاص الذين قابلهم هذا المجنون واستدعاهم .

عارف : ما رأيكما الآن ؟

ردت عالية : علينا أن نحاول استنتاج معنى كلمات ذلك المجنون .

اعترض عارف قائلاً : ولكنه مجنون فكيف تكون لكلماته معنى ؟

ردت عالية : بل لأنه مجنون فكلماته لها معنى هام لأنها صادرة من لاوعى ذلك الشخص ، وليس بها محاولة للتضليل أو الكذب ، ولذلك فإننى أعتقد أنه يكمن خلف كلمات هذا المجنون سر خطير ، وربما لغز غير عادى .

قال عارف فى سخرية خفيفة : ولكن المجنون قد عاد للمستشفى ثانية فماذا يمكن أن نفعل الآن . هل ننتظره حتى يهرب منها ويأتى إلينا ثانية ؟

ولكن عالية لم تأبه بسخرية عارف ، وقالت فى غموض :لا . إننا لن ننتظره ليأتى إلينا ثانية .

وصمتت لحظة ثم أضافت فى تصميم وعيناها تومضان ببريق المغامرة : بل سنذهب نحن إليه !

* * *

اتصلت عالية بالعميد ممدوح الذى خابر مستشفى الأمراض العقلية للاستفسار عن قصة ذلك المجنون ، وكانت القصة التى حصل عليها العميد ممدوح ورواها للمغامرين الثلاثة كالتالى :

أن الرجل المجنون - واسمه أسعد - كان شريكًا لعصابة تقوم بالسطو على المنازل وخاصة منازل الأثرياء ، فكانوا يقومون بدراسة المنزل أو المكان الذى سيسرقونه ، ثم ينتهزون فرصة غياب أصحاب المنزل عنه لسرقته ، بعد أن يتأكدوا من وجود نقود أو مجوهرات بالمنزل .

وكان أسعد هو الذى يقوم بتخطيط السرقة بسبب ذكائه الإجرامى ، وكانت آخر سرقة للعصابة تشهد على هذا الذكاء . فقد قررت العصابة السطو على أحد الفيلات بالدقى ، وصاحبها مليونير ورجل أعمال ولكنه بخيل جدًا ، وهو يعيش فى الفيلا مع أولاده وزوجته ويحتفظ فيها بمبالغ كبيرة من النقود لتيسير أعماله العاجلة ، ومع ذلك فقد كان لا ينفق النقود إلا للضرورة ولا يخرج من المنزل ليلاً أبدًا . واحتارت العصابة فى كيفية سرقة

الفيلا التى كانوا متأكدين أن بها مالا يقل عن ربع مليون جنيه كان رجل الأعمال ينوى أن يستخدمها فى شراء عقارات . خلال يومين . ولذلك كان على العصابة أن تتحرك خلال هذين اليومين قبل أن تخرج النقود من المنزل . وهنا خطط أسعد للسرقة بخطة مبتكرة وفريدة . فقد قام بإرسال أربع تذاكر لمسرحية شهيرة ، ثمن الواحدة منها خمسون جنيهًا بعثت بها العصابة فى خطاب ، كتبت فيه أن مرسله رجل أعمال صديق للمليونير ، وأنه لن يكشف عن نفسه إلا فى المسرح ويخبره أنه هو الذى أرسلها !

وانتهز أولاد المليونير الفرصة وقرروا دخول المسرح مع والدتهم ، ولكن والدهم رفض الذهاب معهم ، وبالتالى فقد أصبحت الفيلاَّ خالية إلا منه هو وبواب الفيلا العجوز ، وقامت العصابة بدخول الفيلا وتقييد الحارس العجوز ، ثم أجبروا المليونير على أن يرشدهم عن مكان النقود بعد أن ضربوه ، وبعدها اختفوا بالنقود . وقام أسعد بعد ذلك بخداع شركائه ، فبعد أن عادوا بالنقود إلى منزل أسعد تمكّن من وضع مخدر لهم فى الطعام فناموا ، ثم قام بالاستيلاء على المبلغ المسروق وهرب به .. واختفى فترة ثم عثرت عليه العصابة بالصدفة ، فقامت بحبسه وتعذيبه بالضرب بالسياط ، والكى بالنار حتى يعترف بمكان

النقود بدون فائدة ، حتى أصيب بالجنون ، واستطاع الهرب من العصابة وقبض عليه البوليس ، ولكنه لم يكن يعى شيئاً ، وكل ما أمكن التوصل إليه من حديثه اسمان هما جعفر ولطفى ، كان من الواضح أنهما شريكاه ، وأنهما كانا يقومان بتعذيبه ، ولكن لم تستطع الشرطة التوصل إليهما .

وهرب أسعد من المستشفى ولكن أحد الأشخاص أبلغ عنه فى نفس اليوم ، فعاد إلى المستشفى ثانية ، وأنهى العميد ممدوح حديثه الطويل قائلاً : لقد قررت الشرطة مراقبة زوار أسعد داخل المستشفى ، فربما يقوم أحد أفراد العصابة بزيارته هناك فتقبض عليه الشرطة .

وانتهى حديث العميد « ممدوح » ، فطلبت منه عالية تصريحًا لزيارة أسعد فى المستشفى ، فوافق العميد ممدوح أن يرسل إليهم التصريح فى صباح الغد !

* * *

زيارة لمستشفى الأمراض العقلية


أسعد المجنون

وفى الصباح حصل المغامرون على تصريح الزيارة فاستقلوا « الأتوبيس » حتى « العباسية » ـ وساروا باتجاه المستشفى وبواسطة التصريح الخاص استطاعوا دخول المستشفى دون مشاكل .

وشاهد المغامرون غالبية نزلاء المستشفى يجلسون فى الحديقة الخارجية المحاطة بالأسوار العالية ، وهم يرتدون ملابس بيضاء وتبدو عليهم الطيبة والوداعة ، وإن كانت تطل من أعينهم من حين لآخر نظرة جوفاء لا معنى لها .

ولمحت عالية أسعد فخفق قلبها . وعندما شاهدها أسعد بدا عليه، أنه تذكرها هو الآخر فراح يحدّق فيها برهة ، ثم عاد ينظر إلى سور المستشفى العالى فى جمود . قدمتِ عالية علبة الشيكولاته التى حملتها معها لأسعد ، وفتحتها ثم أعطته منها فتناولها صامتا ،

وعامر وعارف يراقبانه فى انتباه ، وقد بدا أسعد هادئًا ونظيفًا ولحيته مهذبة ، وأظافره مقصوصة .

ابتسمت عالية لأسعد وقالت : أنا صديقتك . عالية . هل تذكرنى ؟

ولكن أسعد لم يرد عليها وراح يحدق فى السور الحديدى .

لم تيأس عالية وقالت : لقد كنا أصدقاء وتقابلنا فى منزلنا « بمدينة نصر » .. هل تتذكر أحداث الأمس ؟

ولكن أسعد لم يلتفت إليها أو يرد عليها ..

ولاحظت عالية نظراته إلى سور المستشفى فقالت له :

أنت تريد الخروج من هنا . أليس كذلك ؟ نظر إليها أسعد لأول مرة وضاقت عيناه وهو يحدّق فيها ، ثم أشار إليها وقال فى توكيد وكأنه يقرر حقيقة ثابتة : أنت مجنونة !

وعاد ثانية يحدق فى السور الحديدى العالى !

كادت ضحكة عالية تفلت من شفتى عارف كتمها بصعوبة بينما قال عامر :

أرجوك يا أسعد . نحن أصدقاؤك ونرغب فى مساعدتك .

فجأة قام أسعد من مكانه وسار قليلاً ثم جلس على الأرض

بعيدًا عن المغامرين ، كأنه يُعلن لهم أنه لا يريد الحديث معهم أو الاستماع إليهم !

قال عارف : لا فائدة من التفاهم مع هذا الشخص .

ثم لمح مجموعة من المرضى يحدقون فيهم صامتين فقال بسرعة :

من رأيى أن نغادر هذا المكان حالاً !

ردت عالية بتصميم : لا . لن نيأس بسرعة .

ثم اتجهت نحو أسعد وهى تقول : سأستخدم آخر سهم لدىَّ !

وجلست أمام أسعد وركزت عينيها فى عينيه وكأنها تنقل رسالة له بعينيها ، ثم قالت ببطء :

أسعد .. إننى أريد حمايتك . إنهم يبحثون عنك !

نظر أسعد إليها بحدة ، ورأت عالية فى عينيه نظرة الخوف . فعادت تقول بنفس الهدوء والثقة : أنت تعلم من هم . لقد جاءوا يسألون عنك فلم نخبرهم . أنت صديقنا ولذلك نقوم بحمايتك منهم .

اتسعت عينا أسعد وهو يحدق فى عالية التى أكملت قائلة :

– أنت تعلم من هم يا أسعد . وتعلم مكانهم . أليس كذلك !

فتح أسعد فمه أخيرًا ، وابتسم ثم قال هامسًا وهو يتلفت حوله حذرًا : أنا أعرف مكانهم . إنهم يسكنون فى المكان الذى لا يبيت الملك إلا فيه !

نظرت إليه عالية بدهشة وقالت له : أين يا أسعد ؟

قال أسعد بنفس الحذر : عندما تسيرين باستقامة وتنحرفين باستقامة تجدينهم !

ثم رفع يديه محذرًا وهو يقول : غير مسموح بغير ذلك !

قالت عالية بدهشة : ولكن .

قاطعها أسعد صارخًا وقد تجلت فى عينيه علامات الجنون :

– اذهبى ... اذهبى .

أسرع عامر وعارف إلى عالية التى أصابتها الدهشة ولم تستطع التحرك من مكانها ، فقادها أخواها بعيدًا ، وسألاها عما قاله لها ذلك المجنون فأخبرتهما بما دار بينها وبين أسعد .

قال عامر : ماذا يقصد هذا المجنون بأن الملك لاينام إلا فى ذلك المكان ؟ هل يعنى قصرًا ما ؟

رد عارف : فعلاً ربما يقصد أحد القصور .

عامر : ولكن الملك يستطيع أن ينام فى أى مكان ، وليس شرطًا أن يكون ذلك المكان قصرًا .

إن كلماته أن الملك لا ينام إلا فى ذلك المكان !

عالية : إن الملك بشر مثلنا وأى ملك يستطيع أن ينام فى أى مكان يشاء وليس هناك مكان قاصر عليه وحده .. فالملك يمكنه أن ينام فى منزل متواضع أو حتى فى خيمة إذا أراد ..

قال عامر فى حيرة : وما معنى أن يطلب منك يا عالية أن تسيرى فى استقامة وتنحرفى فى استقامة . هل يقصد أن تبدئى السير من مكان معين باستقامة ثم تنحرفى فى استقامة إلى مكان آخر .. ولكن إلى أين ستصلين ؟

قاطعه عارف قائلاً : بل دعنا نقول من أين نبدأ السير ، ثم بعد ذلك نقول أين سينتهى بنا السير ؟

اقترب المغامرون من ميدان « العباسية » فاستقلوا الأتوبيس حتى منزلهم وعالية صامتة طوال الطريق ، فقال لها عامر : دع عنك يا عالية . فما الذى كنت تتوقعين أن يخبرك به أسعد . تذكرى أنه شخص مختل عقليا لا يعى ما يقول !

عارف : ولكن من كان يقصد بقوله ستجدينهم ؟

رد عامر بسرعة : أفراد العصابة طبعًا !

عارف : ولماذا لا يقصد مكان النقود !

نظر إليه عامر برهة ثم قال : ولكن عالية كانت تحدثه عن شركائه ؟

عارف : ومن يدرى ماذا كان يقصد هو بإجابته عن سؤال عالية ؟ !

تكلمت عالية لأول مرة منذ استقلوا الأتوبيس فقالت :

– لقد قال لى : إنه غير مسموح .. بغير ذلك !

قال عامر بدهشة : ما هو غير المسموح لك إلا به ؟

ردت عالية مكررة كلمات المجنون : عندما تسيرين باستقامة وتنحرفين باستقامة تجدينهم . غير مسموح لك بغير ذلك !

قال عامر فى حيرة : لأول مرة لا أفهم شيئًا .لو كان لهذا الكلام معنى لكانت محاولة حل رموزه تستحق بذل المجهود من جانبنا ، ولكنى أحس أن هذه الكلمات جوفاء صادرة من عقل عاطل ، يستحيل أن يكون لما يصدر منه أى معنى !

* * *

أسعد الهارب ثانيا



أسعد المجنون

وصل المغامرون إلى فيلتهم الصغيرة صامتين . كانت كلمات أسعد الغريبة ترن فى عقولهم وهم يتساءلون ، هل لكلماته أى معنى ، أم أنها صادرة عن شخص مجنون لا يعى ما يقول ؟

واستقبلهم « روميل » فى مدخل الفيلا وهو يهز ذيله مرحبًا بهم ، فربتت عالية على رأسه بحنو ، ثم اتجه المغامرون إلى صالة الطعام لتناول غذائهم .

وبسرعة انتهوا منه ثم اتجهوا إلى غرفهم للنوم فترة الظهيرة الحارة .

وعندما استيقظوا كان النشاط قد عاد إلى أبدانهم ، فشرعوا ينقلون حاجياتهم الخاصة بألغازهم إلى الغرفة الخشبية فوق سطح الفيلا ، لتكون جاهزة لعقد اجتماعاتهم .

قال عامر : يجب أن نُطلق على هذه الغرفة تسمية تكون خاصة بالمغامرين الثلاثة .

رد عارف : سنطلق عليها غرفة « المقر السرى » !

قال عامر : ولكنها ليست سرا حتى تُطلق عليها تسمية « المقر السرى » ؟

تدخلت عالية قائلة : إذن فيكفى أن نسميها « المقر » .

ووافق المغامرون .

وبعد أن انتهوا من نقل حاجياتهم الخاصة للغرفة ، خرج عامر وعارف لزيارة أحد الأصدقاء – علاء – الذين تعرفوا عليه خلال جولتهم السابقة ، وكان يسكن منزلاً قريبًا . ولم تفضل عالية الخروج مع أخويها ، وقالت بأنها ستمكث لقراءة إحدى قصص الأديب المصرى العالمى « نجيب محفوظ » ، والحاصل على جائزة « نوبل » فى الأدب .

وجلست عالية فى الفراندة ثم شرعت فى القراءة ، وما كادت تنتهى من بضع صفحات قليلة حتى سمعت صوت « روميل » ينبح بشدة .

نظرت عالية لأسفل فرأت « روميل » يقف فى وسط الحديقة

وهو ينبح بشدة وغضب ، فهبطت بسرعة إلى الحديقة وراحت تهدئه ، ثم نظرت إلى المكان الذى كان ينبح تجاهه « روميل » . كانت نفس الشجرة التى اختفى خلفها أسعد المرة السابقة ، ولكن لم يكن خلفها أحد هذه المرة ، وعندما رفعت عالية عينيها لأعلى ، لمحت أسعد بين أغصان الشجرة وهو يرتجف من الخوف بسبب « روميل » !

تغلبّت عالية على دهشتها ، وأشارت إلى أسعد أن يهبط فهز رأسه علامة الرفض وهو يشير إلى « روميل » ، فأسرعت عالية وقيدت كلبها بجانب كوخه ، وهنا فقط هبط أسعد لأسفل !

قالت عالية لأسعد وهى تتنهد : ها أنت قد عدت ثانية . ولكن لماذا ؟

لم يرد أسعد وجلس صامتاً كتلميذ بليد أمام مدرسته .

هزت عالية رأسها فى دهشة وهى تقول : من الغريب أنك تختار الأوقات التى أكون فيها وحدى هنا لتظهر فيها !

ثم تساءلت فى حيرة إلى أسعد :

ولكن كيف هربت ثانية من المستشفى ولماذا اخترت حديقتنا بالذات لتعود إليها ؟

ولكن أسعد لم يرد عليها ، وراح يتطلع إلى عالية فى فضول .

ولم تحس عالية بالخوف هذه المرة ، فقد كان أسعد – برغم جنونه – هادئًا ساكنًا ، وكما أخبرها الطبيب المعالج له أنه مجنون من النوع الهادىء الذى لا يثور إلا لمامًا ، وإذا أثاره شخص آخر وبعنف .

أشارت عالية إلى أسعد أن يقف فأطاعها وسارت معه حتى المنضدة بأحد أركان الحديقة تحت الأشجار الظليلة ، ثم أشارت له بالجلوس ففعل .

ولاحظت عالية أن أسعد يتجاهلها إذا ما تكلمت ويطيعها عندما تشير له بما تريد .

فعادت تشير له متسائلة إن كان جائعًا ، فهز رأسه موافقًا .

وبسرعة أحضرت له بعض السندويتشات وعصير البرتقال المثلج ، فراح أسعد يتناول طعامه بسرعة ، وعندما انتهى منه بدا على وجهه الامتنان والسرور .

كانت عالية تريد أن تكتسب ثقة أسعد ، وبدا لها أن الوقت مناسب لتسأله عمًّا قاله لها فى المستشفى ، فقالت له :

لقد بحثنا ولم نجد الملك ولا المكان الذى يبيت فيه . يجب أن تدلنا عليه !

نظر إليها أسعد صامتًا وبدا أنه يفكر فى أمر ما .

عادت عالية تسأله : أين أجد الملك ؟

نطق أسعد أخيرًا وهو ينظر إلى « روميل » بحذر ، وقال فى بطء : الملك فى كل مكان ، وإذا كنت ذكية فستجدين المكان الذى يبيت فيه الملك ،فهذا هو المهم ! نظرت إليه عالية مندهشة ، كان أسعد يتحدث كأى شخص عاقل ، وتساءلت عالية ما معنى حديث هذا المجنون بأنها إن كانت ذكية فستجد المكان الذى يبيت فيه الملك ، وقررت أن تستغل حديث أسعد معها فقالت له : ولكن من أين أبدأ السير فى إستقامة ؟

بدت ابتسامة ساخرة واسعة على شفتى أسعد ، ونظر إلى عالية بشدة محدّقا فى عينيها ، ثم نطق بكلمة واحدة قائلاً : غبية !!

احمرت وجنتا عالية بسبب كلمة المجنون ، كانت أول مرة يقول لها أحد بأنها غبية ، ورغم أن قائلها كان مجنونًا إلا أن الكلمة آلمتها كثيرًا !

كانت تود أن تصرخ فيه بأنها ليست غبية ، وأنها تستطيع أن تثبت له ذكاءها ، وأنه مجنون . مجنون . مجنون !

ولكن عالية لم تنطق وكتمت انفعالها ، كان من المهم ألاَّ تثير أسعد ، فربما يضربها ، فهو رغم هدوئه الظاهرى إلا أنه إذا ما ثار فلا يعلم إلا الله ماذا سيحدث .

قالت عالية ببطء : النقود يا أسعد . أين هى ؟

أشاح المجنون وجهه عن عالية ، وبدا على ملامحه علامات الاستياء ، وفى نفس اللحظة توقفت إحدى العربات الكبيرة أمام الفيلاَّ ، وهبط منها رجلان أحدهما طويل بطريقة لافتة للنظر ، والآخر أقصر منه كثيرًا ، وتقدم الاثنان نحو أسعد وهما يمسكان بجلباب أبيض وانقضا عليه بسرعة دون أن يتيحا له فرصة الهرب .

حدث ذلك بسرعة خاطفة كما لو كان فيلما سينمائيا ، لدرجة أن عالية انحبست الكلمات فى فمها من المفاجأة .

راح المجنون يصرخ بصورة هيستيرية ويقول :لا . لن أذهب معكم . لا تعذبونى . لن أذهب معكم . لا أعرف أين هى . لم آخذ شيئًا . حرام عليكم .



وفجأة توقفت عربة سوداء كبيرة ونزل منها رجلان
وأخذا أسعد المجنون وسط اندهاش عالية .

نجح الرجلان فى تقييد يدى أسعد وتكميم فمه ، وقال أطولهما لعالية :

– كان المفروض أن تتصلى بنا عندما وجدتِهِ فى منزلك ، فهو مجنون خطر جدا رغم هدوئه ، وعمومًا سنشدد الحراسة عليه فى المستشفى حتى لا يستطيع الهرب ثانية .

ثم قال لزميله القصير : هيا بنا .

وتعاون الاثنان فى حمل أسعد إلى العربة المغلقة ثم وضعاه فى صندوقها الخلفى ومضيا بها .

حدث ذلك كله وعالية فى دهشة ، لم تنطق بحرف واحد .

وأفاقت من دهشتها على صوتِ عامر وعارف وهما يدخلان الحديقة ويضحكان فى سرور .

وما أن رآها أخواها حتى انتابهما القلق ، وقال عامر : ما بالك يا عالية ؟ ، ماذا حدث ؟

هزت عالية رأسها فى صمت وأشارت إلى المنضدة التى كانت لاتزال فوقها بقايا السندويتشات التى تناولها أسعد .

قال عامر : مندهشًا : أنت لا تقصدين بالتأكيد أن ..

قاطعته عالية قائلة : هذا هو ما حدث !

قال عارف فى دهشة : أنا لا أفهم هذه الألغاز . ماذا هناك ؟

عالية : لقد جاء أسعد ثانية !

رمقها عارف فى دهشة وقال : أسعد ! كيف ؟ وأين ذهب ؟

ردت عالية : لا أدرى كيف استطاع الهرب من المستشفى ثانية ، لقد وجدته هنا عندما نبح « روميل » فهدأته وأطعمته ، وحاولت أن أستفسر منه عن معنى كلماته التى أخبرنى بها أمس .

قاطعها عامر بلهفة : وماذا قال ؟

ردت عالية ببطء : قال إننا لو كنا أذكياء لوجدنا الملك الموجود فى كل مكان ، وأن المكان الذى يبيت فيه هو المهم !

وصمتت عالية متحيرة فعاد عارف يسألها : وماذا قال أيضا ؟

ردت ساهمة فى خجل :لقد قال لى : إننى غبية !

ضحك عارف بشدة بينما رمقه عامر فى لوم ، ثم قال عامر لعالية :

– وأين ذهب أسعد ؟ هل اختفى ثانية !

ردت عالية : إنه لم يختف هذه المرة بل جاءت عربة مستشفى الأمراض العقلية وأخذته .

رد عامر بدهشة : عربة المستشفى !!

أجابت عالية : نعم ، وهبط منها شخصان انقضّا على أسعد وألبساه قميص المجانين ، ثم لامنى أحدهما بسبب أننى لم أستدعهم فى الحال !

قال عامر بدهشة : إذن من استدعى ممرضى المستشفى ، وكيف علموا بعنواننا ؟

وكأنما إنتبهت عالية لهذه النقطة فنظرت إلى أخويها فى حيرة وقالت :

لا أدرى . من العجيب أننى لم أفكر فى هذه النقطة من قبل ؟

عامر : وماذا فعل أسعد عندما أخذاه ؟

ردت عالية : كان يصرخ فى جنون وحاول أن يقاومهما بلا فائدة .

عارف : كم شخصًا كان بالعربة ؟

ردت عالية : اثنان .

عاد عارف يسألها : وما لون العربة التى جاءا بها ؟

ردت عالية : كان لونها أسود .

قال عارف بسرعة : ولكنك تعلمين أن لون عربة المستشفى أبيض وقد رأيناها المرة السابقة ؟

قالت عالية فى ارتباك وحيرة : لا أدرى . لقد تم الأمر بسرعة ولم أنتبه لأى شيء وقتها .

اتجه عامر للداخل وهو يقول : سأتصل بمستشفى الأمراض العقلية وأستفسر إن كانت أرسلت عربة لتعيد أسعد أم لا .

بدأت عالية تدرك فى تلك اللحظة فقط أن تلك العربة لم تكن عربة المستشفى ، وأن هذين الشخصين اللذين حملا أسعد داخل السيارة لم يكونا من ممرضى المستشفى ، ولم يكن هناك شك فى أنهما من أفراد العصابة الذين عذبوا أسعد !

وكادت تبكى عندما انتهت إلى هذه النقطة وتساءلت فى ألم كيف استطاعا أن يخدعاها بهذه البساطة ؟

وعادت كلمة أسعد تطن فى أذنها : « غبية » !

* * *


عالية

وكما توقعت عالية فإن المستشفى لم ترسل عربة لإعادة أسعد إلى المستشفى .. ولا تعلم عنه شيئاً !!

وفى الحال عقد المغامرون أول اجتماعاتهم لمناقشة ذلك اللغز فى « المقر » حول المائدة التى وضعوها فى أحد الأركان ، وقد أسموه لغز « سر المجنون » !

وبدأت عالية الاجتماع قائلة : لقد تغلبت علينا العصابة فى الجولة الأولى واستطاعت خداعنا . وأخذت أسعد تحت سمعنا وبصرنا ، ولكننا لن نيأس ، فالهزيمة فى أول جولة لا تعنى الهزيمة على طول الخط !

وصمتت لحظة ثم أضافت : إن العصابة بإقدامها على هذه الخطوة قد كشفت عن بعض أوراقها .

عامر : وكيف ذلك يا عالية ؟

ردت عالية : أولا فإن العصابة كما هو واضح لازالت مصممة على استرداد النقود وهذا يسهل مطاردتهم لأنهم لاشك سيأتون بخطأ ما بسبب غضبهم على أسعد لخداعه لهم ، وسيحاولون دفعه للاعتراف بمكان إخفائه للنقود .

ثانيا : هناك سؤال هام ، وهو كيف استطاعت العصابة معرفة مكان أسعد هنا فى منزلنا ؟

رمقها عامر وعارف بدهشة ، كان سؤالاً وجيهًا لهم يخطر ببال أحدهما من قبل .

قالت عالية : إن إجابة هذا السؤال تفترض احتمالين ، أولهما أن العصابة لها أعوان بمستشفى الأمراض العقلية ، وأن هؤلاء الأعوان تتبعوننا عندما زرنا أسعد صباح اليوم ثم توقعوا أن يهرب أسعد ويلجأ لمنزلنا ثانية .

قال عامر مشجعًا : والاحتمال الثانى ؟

ردت عالية : الاحتمال الثانى هو أن فيلّتنا مراقبة منذ وقت ، وأن العصابة على علم بكل تحركاتنا !

ثم أكملت : وإن كنت متأكدة بأن هذه النقطة لن تفيدنا لأن رجال العصابة لابد أنهم قد انتهوا من هذه الرقابة بعد أن قبضوا على أسعد .

عامر : أود أن أضيف شيئًا هامًّا وهو ، أن تواجد أسعد والعصابة هنا يعنى أن مقر العصابة لابد وأنه قريب من مكاننا نظرًا للسرعة التى جاءت بها عربتهم للقبض على أسعد ، فكما قالت عالية فإن الفترة ما بين مجىء أسعد ومجىء العصابة لم تستغرق أكثر من ساعة ، وإذا ما حسبنا الوقت اللازم لكى يقوم الشخص الذى كان يراقب الفيلاّ بالاتصال بالعصابة كى يخبرهم أن أسعد فى الحديقة ، ثم تجهيز أفراد العصابة للملابس البيضاء لأسعد كى يوهموا عالية أنهم من ممرضى مستشفى الأمراض العقلية ، ثم المجىء بالعربة إلى هنا ، كل هذا يعنى أن المكان الذى تحركت منه العربة – وهو مقر العصابة بالتأكيد – لابد وأنه قريب جدًّا .. ربما أقرب مما نتصور !

قال عارف : هذه وجهة نظر صحيحة تمامًا !

عالية : وما هى خطوتنا المقبلة ؟

عامر : رغم تأكدنا أن مكان العصابة قريب جدا ، إلا أن هذا طبعًا لا يوصلنا إلى مكانها ، فمدينة نصر واسعة وبها أماكن كثيرة مجهولة لنا وعلى ذلك فأعتقد أن الشرطة إمكاناتها أفضل فى بحث هذه النقطة .

عالية : هل تعنى أن نترك الأمر للعميد « ممدوح » ورجاله ؟

عامر : هذا هو التصرف السليم ، فنحن لا نملك إمكان البحث عن أسْعد ورجال العصابة ، ولكن رجال الشرطة في إمكانهم تحديد الأماكن المشبوهة ومراقبتها ، وبالتالى فلابد أن تقع في أيديهم العصابة .

قال عارف متسائلاً لأخته : ألم تلاحظى يا عالية رقم عربة العصابة ؟

ردت عالية : إننى لم أنتبه إلى ذلك فقد ظننتها عربة المستشفى ولم تجذب انتباهى !

عارف : ولكن ما هى أوصافها ؟

عالية : إنها سوداء اللون من طراز أمريكى قديم ، ولها صندوق خلفى كبير مغلق .

عامر : هذه أوصاف لا يمكن الاعتماد عليها وخاصة ونحن لا نعلم حتى ماركة العربة ، وعلى ذلك فإننى أقترح أن أتصل بالعميد « ممدوح » ونترك الأمر بين يديه ، لأننا لن نستطيع أن نفعل شيئًا أكثر مما فعلنا للأسف الشديد !

وتم أخذ الأصوات فكانت بالإجماع على هذا الاقتراح ، فانفض الاجتماع بعد أن قام عامر بالاتصال بالعميد « ممدوح »

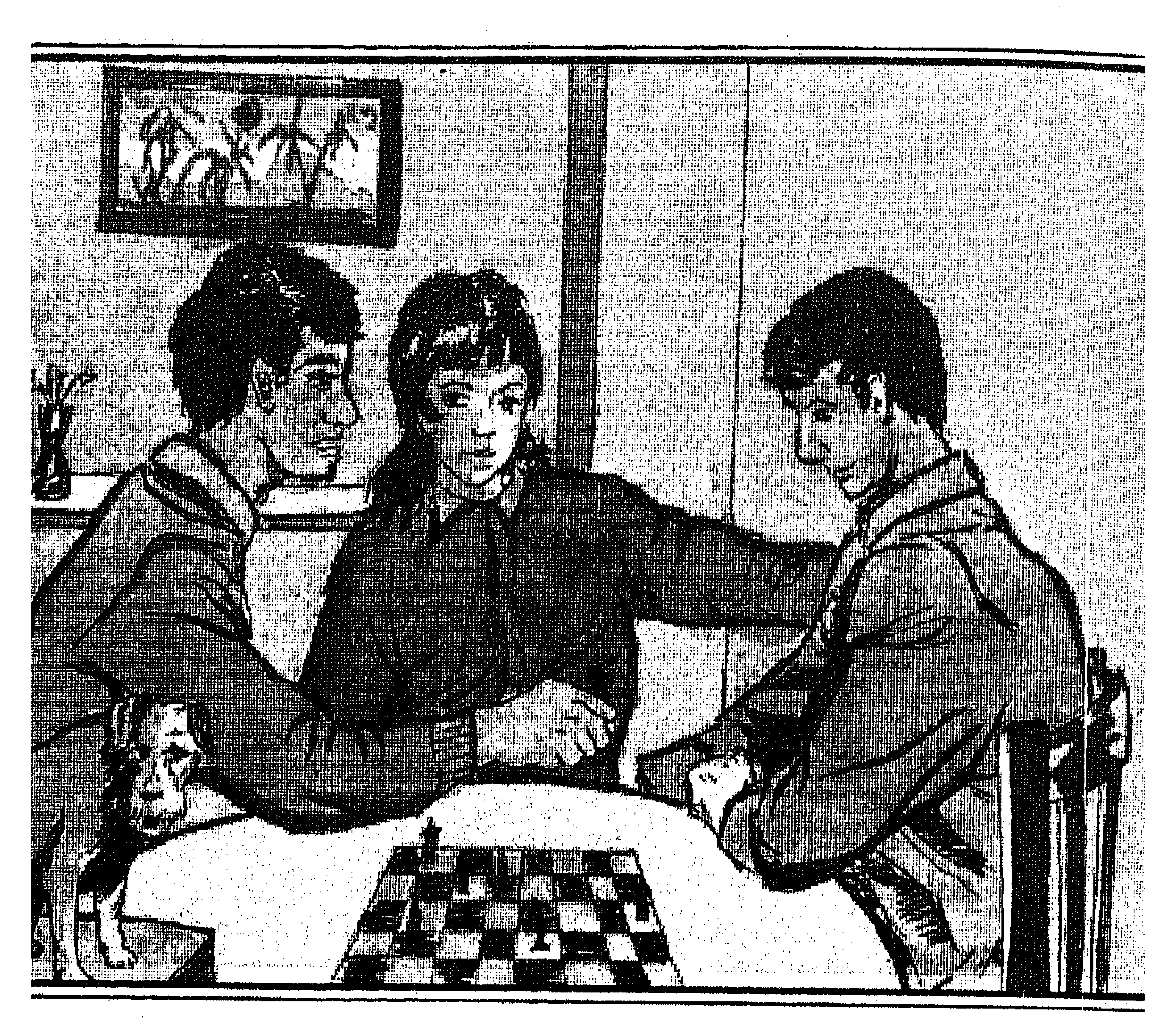
ليقصَ عليه حادث اختطاف أسعد من منزلهم .. ووعده العميد « ممدوح » بتكليف البحث عن مكان العصابة .

واقترح عارف أن يقضوا المساء فى لعب الشطرنج ، فوافق الباقون ، وأحضرت عالية رقعة الشطرنج .

وبدأت أولى المباريات بين عامر وعارف بينما جلست عالية تشاهدهما ، وأمامها جلس « روميل » فوق كرسى عال ، بحيث يشاهد مجريات اللعب هو الآخر . وكثيرًا ما همهم « روميل » همهمة خفيفة إذا ما أعجبته لعبة ما ، وعالية تنظر إليه مندهشة كيف يصدر صوته فى اللحظة المناسبة تمامًا ، بعد كل لعبة جيدة ، ثم تنبهت إلى أن انفعال « روميل » كان هو صدى لانفعالها ، فما أن يراها تصفق مثلا للعبة بارعة حتى ، يهمهم هو الآخر مبديًا رضاءه عن نفس اللعبة !

وانتهى الدور الأول بفوز عارف ، ثم انتهى الدور الثانى بفوز عامر ، وبدأ الدور الفاصل بينهما فالفائز يلاعب عالية .

وبدأت المباراة الثالثة حماسية . وحرك عامر أحد البيادق للأمام وفعل عارف مثله ، ثم تحرك الوزير والحصان والفيل ، وسارع عارف يحمى الملك بوضعه فى أحد الأركان متبادلاً مكانه مع قطعة الطابية .



وجلس المغامرون يلعبون الشطرنج .

وهنا صرخت عالية منفعلة ، وخبطت يدها برقعة الشطرنج لشدة انفعالها ، فوقعت القطع وتناثرت على الأرض ، بينما عامر وعارف ينظران لها باستغراب شديد ، وحتى « روميل » بدا أنه غاضب بسبب أن عالية قطعت عليه متعة مشاهدة هذه المباراة الهامة !

قالت عالية لاهثة : لقد وجدته .. أخيرًا .. وجدته !

سألها عامر بهدوء : ما هذا الذى وجدتِهِ يا عالية ؟

ردت عالية وأنفاسها تتلاحق : المكان الذى يبيت فيه الملك !

نظر إليها عامر وعارف بدهشة ، بينما استمرت عالية تقول :

عندما تريد حماية الملك .. أين نضعه ؟ أقصد ملك الشطرنج ؟

رد عامر : إننا نجعله فى حالة بيات بواسطة « الطابية » ، عن طريق تبادل مكانها مع الملك !

عادت عالية تقول : « والطابية » طبقا لقانون الشطرنج تسير فى خطوط مستقيمة للأمام وللجانب .. أليس كذلك ؟

قال عامر بدهشة : فعلاً . فهذه هى خطواتها !

عادت عالية تقول : وغير مسموح لها بغير ذلك !

تألقت عينا عامروعارف وقد أدركا ما تهدف إليه عالية ، وصاحا في صوت واحد : أنت رائعة يا عالية .

وابتسمت عالية في سعادة وقالت : إن الملك لا يبيت إلا بواسطة « الطابية » ، والتي غير مسموح لها حسب قواعد اللعبة ، إلا بالسير في خطوط مستقيمة للأمام أو الخلف ، وتتجه بنفس الاستقامة يمينا أو يسارًا !

قال عارف ببعض السخرية : إذن فإن العصابة تسكن في « الطابية » . عظيم . سأبحث عنها .

وأمسك بأحد قطع الطوابى أمامه وراح يتفحصها متهكمًا !

قالت عالية : لا تسخر يا عارف . المقصود ليس « طابية » الشطرنج وإنما لابد أن هناك منزلاً معينا يسمى « الطابية » تسكنه العصابة ، وهو ما كان يقصده أسعد بحديثه معنا الذى بدا لنا غامضًا وقتها !

قال عامر :فعلاً .فالشطرنج هو لعبة الأذكياء ، وقد قال أسعد بأننا لو كنا أذكياء فسنجد المكان الذى يقصده !

قالت عالية : علينا أن نجد مكان « الطابية » بسرعة ، قبل أن تهرب العصابة منه بعد أن اختطفت أسعد .

قال عارف : ولكن كيف سنجد هذه « الطابية » يا عالية ؟

ردت عالية : تذكروا أن مكان العصابة كما استنتجنا قريب من هنا ، وعلى ذلك فإن مكان « الطابية » قريب أيضًا ، فقط يلزمنا شخص يعرف تفاصيل « مدينة نصر » كى يدلنا على مكانها .

أجاب عامر وعارف فى نفس واحد : علاء !

ثم أسرع المغامرون الثلاثة إلى داخل الفيلاَّ واتصلوا بعلاء وعامر يمسك بالسماعة متلهفًا .

وجاء صوت علاء مندهشًا من الاستفسار وهو يقول : « طابية » .لا أدرى يا عامر فأنا لم أسمع بهذا الاسم من قبل !

ارتسمت خيبة الأمل على وجه عامر ، وهم بوضع السماعة عندما جاء صوت علاء ثانية يقول :

– ألو ... عامر . انتظر . سأسأل والدى .

وغاب دقائق ثم عاد يقول : ألو ... عامر .. فعلاً هناك مكان يسمى « الطابية » يوجد على حدود « مدينة نصر » ناحية الجبل ،على مسافة ربع ساعة سيرًا على الأقدام من نهاية شارع « العقاد » شمالاً !

شكره عامر ووضع السماعة ، وبدأ المغامرون المناقشة فى كيفية التصرف ، واتفقوا على أن يتصلوا بالعميد « ممدوح » لأخذ مشورته ، ولكنهم لم يجدوه فى مكتبه فبانت على وجوههم خيبة الأمل .

واقترح عارف أن يتصلوا بقسم الشرطة ولكن عالية اعترضت ، فلا أحد يعرفهم في قسم « مدينة نصر » ، فكيف سيصدقونهم ؟

لم يكن هناك وقت لإضاعته ، وكان هناك حل وحيد ، وقرر المغامرون أن يعتمدوا على أنفسهم وأن يبحثوا عن الطابية بأنفسهم !

أسرع « المغامرون » إلى « المقر » وجهزوا بطارياتهم وبعض الأدوات اللازمة .

وكانوا يعلمون أن والديهم سيبيتان فى منزل أحد أقاربهم فى بنها ،فاصطحبوا « روميل » معهم واتجهوا إلى شارع « العقاد » فى الاتجاه الذى وصفه لهم علاء .. بحثًا عن « الطابية » .

***


« لطفى » أحد أفراد العصابة

سار المغامرون حتى شارع « عباس العقاد » ، وانتهوا من الشارع فساروا شمالاً نحو الصحراء الغربية .

وبدأ الليل يلفهم فى صمته وهدوئه ، ولا يقطع هذا الصمت سوى صوت خطواتهم فوق الحصى والرمال ، وقد سار فى المقدمة عامر وعارف وخلفهما عالية « وروميل » على بعد خطوات قليلة ، وقد أنار ضوء القمر والنجوم ، بعض تفاصيل المكان حولهم .

وبعد حوالى عشر دقائق من السير فوق الرمال لاح لهم تحت ضوء القمر مبنى بعيد . وكلما اقتربوا منه زادت تفاصيله وضوحًا ، حتى صاروا على بعد حوالى مائتى متر منه فظهرت تفاصيله واضحة .

كانت الصخور تحيط بالمبنى الذى استقام على شكل أسطوانة

لها حواف صخرية مدببة تأخذ شكل « الطابية » تمامًا .. وكانت مبنية من الأحجار الكبيرة وليس لها منفذ سوى باب وحيد من الخشب .. وقد وقفت سيارة العصابة السوداء الكبيرة أمام المبنى .. الذى أحاط به السكون والهدوء .

وتعجب المغامرون من وجود مثل هذا المبنى خلال الصحراء . وقال عامر لعالية : سأدخل مع عارف أولاً ، وأعتقد أننا سنجد أسعد بالداخل ، وسنحاول تهريبه من العصابة دون أن نصطدم بها ، ففى ذلك خطورة علينا ، وهذه المهمة ستستغرق حوالى ساعة للبحث عن أسعد داخل هذا المبنى الغريب ، أما إذا تأخرنا عن ساعة فلابد أننا وقعنا فى أيدى العصابة وعليك التصرف .

عالية : وماذا أفعل إذا تأخرتما فى العودة ؟

عامر : عليك بالعودة إلى « مدينة نصر » والاتصال بالعميد ممدوح ليقتحم المكان مع رجاله . وافقت عالية على خطة عامر ، ثم استدارت خلف أحد الصخور العالية تختبىء مع « روميل » ، بينما اتجه عامر وعارف نحو « الطابية » .

تسلل الاثنان إلى الباب الخشبى الثقيل فوجداه مغلقًا من الداخل .. واستطاع المغامران أن يفتحاه بأدواتهما الدقيقة بدون ضجة .

وما أن دلفا للداخل حتى احتواهما الظلام .

أشعل عامر مصباحه اليدوى وسار ببطء محاذرًا أن يكون لخطواته أى صوت ، ومن خلفه عارف .

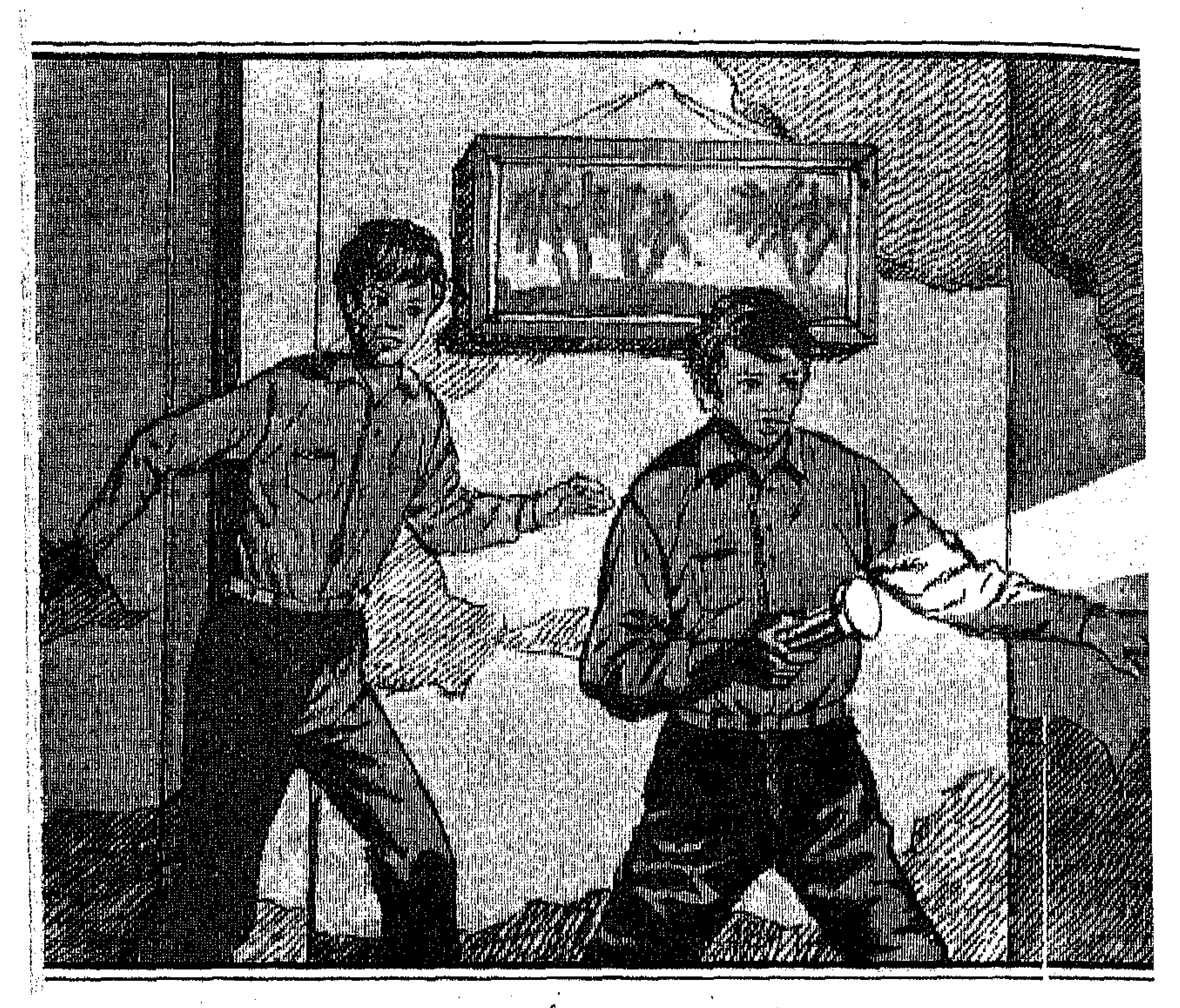
قال عارف فى همس : إذا كان هناك أحد فلابد أنه يجلس فى مكان به ضوء بالطبع وعلى ذلك . فليس هناك خوف من الغرف المعتمة لأنه لا أحد بها .

وافقه عامر بهزة من رأسه .. وانتهى الاثنان من البحث فى الدور الأرضى الذى كان خاليا من مظاهر الحياة ، ثم اقتربا من السلم الحلزونى الملتوى والذى كان يلتصق بجدار المبنى الداخلى ، وصعداه فى خطوات مكتومة .

ووصلا للطابق الثانى والأخير ، وشاهدا ضوءًا شاحبًا على مبعدة منهما ، لقنديل زيتى قديم ينير الصالة الواسعة المتربة .

لم يكن هناك أى صوت ، وفجأة انتفض عامر وعارف بسبب صوت مفاجىء دوى فى وسط السكون كطلقة مدفع .

وبسرعة وجّه عامر مصباحه لمصدر الصوت أسفل قدمه ، كان قد وطىء ذيل قطة كانت نائمة فى ركن الصالة ، فرفع قدمه بسرعة عن ذيلها ثم سارع بالاختباء مع عارف داخل أقرب غرفة منهما .



ودخل عامر وعارف إلى الطابية وقد أوقد عامر مصباحه الكهربائى .

ومرت لحظات قبل أن يسمعا صوت هرولة فى الصالة ، ثم أحد الأشخاص يقول فى صوت أجش : ما هذا الصوت ؟

ثم وجه نور مصباح يدوى فى يده نحو القطة المذعورة وقال : إنها القطة ثانية . لابد أن نتخلص منها فيما بعد ، لقد أخبرتك بذلك من قبل يا « جعفر » . هذه القطة تثير أعصابى بموائها وصراخها .

قال الصوت الآخر : وأنت تثير أعصابى يا « لطفى » فى كل مرة تطأ فيها ذيلها بغبائك !

قال « لطفى » محتدا بصوته الأجش : ولكنى لم أقترب منها هذه المرة .

رد « جعفر » متهكمًا : لا بأس ، لابد أنها حلمت أنك تطأ ذيلها كعادتك فصرخت ! ثم أضاف فى صوت آمر : دعنا من هذا الآن ، اذهب لرؤية أسعد إن كان قد أفاق من غيبوبته ، وسوف أهبط لأسفل دقائق ثم أعود لك .

وهبط « جعفر » لأسفل ، بينما اتجه « لطفى » لغرفة فى أحد الأركان كان ينبعث منها ضوء ضئيل .

سمع المغامران الحديث الذى دار بين رجلى العصابة وقلبهما يدق بعنف . لقد تأكدا الآن أن هذا المكان هو وكر العصابة ،

وأن أسعد قد اختطفته العصابة وأتت به إلى هذا المكان لتستجوبه عن مكان النقود ، ولابد أنهم عذبوه ثانية ولذلك فقد أغمى عليه .

وسمع الاثنان صوت « لطفى » الغليظ وهو يقول ساخطًا : إنه لم يفق بعد .

وجاءه الرد من أسفل من جعفر قائلاً : لا بأس . اتركه الآن ، هل أعددت العشاء ؟

هبط « لطفى » للدور الأرضى وراح يحدث « جعفر » وخفت صوتهما ، مما يدل على أنهما دخلا إحدى الغرف بأسفل ، ولم يعد يصل صوتهما لعامر وعارف .

تنفس المغامران الصعداء ، وقال عامر لعارف : هيا بنا . هذه فرصة نادرة علينا استغلالها . واتجه الاثنان إلى الغرفة التى بها أسعد والتى كان ينبعث منها ضوء ضئيل .

كان أسعد ملقى على الأرض فى أحد أركان الغرفة ، وقد قيدت يداه وقدماه وبدا أنه فاقد لوعيه ، سلط عامر ضوءه نحو المجنون ، كان وجه أسعد شاحبًا وبدت عليه علامات التعذيب الشديد .

راح عارف يهز أسعد فى بطء ويحاول إفاقته بدون فائدة ،

فقال عامر لعارف : دعه لحظة ثم سلط ضوء المصباح اليدوى إلى عينى أسعد ، ومرت لحظات قبل أن ترمش العينان ثم تنفتحان فى حذر ، وتطل منهما حدقتان تتطلعان فى رعب .

كاد أسعد يصرخ ولكن عامرًا أسرع بإبعاد الضوء عن وجهه وقال له فى صوت هادىء هامس :

– لا تخف يا أسعد . نحن أصدقاؤك . لقد جئنا لمساعدتك .

بدأ أسعد يهدأ قليلاً وهو يتطلع للمغامرين .

قال عارف : لقد جئنا لإنقاذك ، فلا تحدث صوتًا ، وسنحل قيودك وننصرف معا من هنا .

ومد عارف يديه ليحل وثاق يدى أسعد ، وقبل أن يشرع فى ذلك انتفض على صوت ساخر حاد قال فجأة : لا داعى لأن تتعب نفسك وتحل قيوده فهو سعيد هكذا !

كان صوت « جعفر » . استدار المغامران ، مذهولين .. كان « جعفر » و « لطفى » يسدان مدخل الغرفة وفى يد « لطفى » مسدس ضخم !

ضحك « جعفر » وقال محدثا « لطفى » : لا داعى لهذا المدفع يا « لطفى » فهما ليسا سوى طفلين .. هيا خبىء مسدسك .

فوضع « لطفى » مسدسه داخل سترته مترددًا .

وانتبه المغامران إلى الحبال فى يدى « جعفر » وقد جاء بها لتقييدهما ، ولم يكن هناك فائدة من المقاومة .

وراح « جعفر » و « لطفى » يقيدانهما ، بينما « جعفر » يتحدث فى صوت عميق مشيرًا إلى زميله قائلاً : لم يطأ « لطفى » ذيل القطة وعلى ذلك فلابد أن شخصًا آخر قد وطىء ذيلها ، ولم يكن الأمر فى حاجة إلى ذكاء لاكتشاف وجود غرباء داخل « الطابية » !

هز « لطفى » رأسه مؤيدًا .. كان واضحًا أن « جعفر » هو الزعيم بالنسبة له ، للبساطة التى يتقبل بها أحكامه وأوامره .

انتهى « جعفر » و « لطفى » من تقييد يدى وقدمى عامر وعارف ، وقال « جعفر » موجها حديثه للمغامرين : لقد أغفلنا كم حقكم ، كنا نظن أنكم مجموعة من الأطفال تقوم بدور المغامرين ، ولكن لابد أنكم أذكياء جدًا لتستطيعوا الوصول إلى هنا .. لقد راقبنا الفيلاً بعد أن زرتم المستشفى وسمعنا حديثكم عن أسعد ومحاولة إثارته للكلام .

ثم هز كتفيه وهو يضيف : كان من الأفضل ألا تتدخلا .



سلط عامر الضوء نحو المجنون .

على العموم فنحن سنترك « الطابية » غدًا ، وسنأخذ أسعد معنا أما أنتما فستظلان هنا إلى أن تموتا جوعًا وعطشًا !

ثم وجّه حديثه لأسعد قائلاً : والآن ألن تخبرنى عن مكان النقود .. ما رأيك ؟

فحدق فيه أسعد بنظرة بلا معنى ولم يتحرك فيه سوى جفونه .

عاد « جعفر » يقول : لقد استعملت معك كل طرق التعذيب ولكنك تفضل الصمت .. لماذا لا تأخذ نصيبك وتعطينا نصيبنا .. تذكّر أننا لن نتركك هذه المرة تهرب أو تغادرنا قبل أن نعرف مكان النقود .

ثم تثاءب وهو يقول : عموما سنتركك تفكر للصباح ، وربما يعيد إليك عقلك ، التعذيب الذى لاقيته منذ الظهر .. كما أن « لطفى » اخترع وسيلة جديدة للتعذيب يرغب فى أن تكون أول من يجربها .. وغدًا .. فى بيتنا الجديد سنستطيع التفاهم أفضل !

ثم انسحب هو وشريكه ، وسمع المغامران صوت أقدامهما تهبط للدور الأرضى . وساد سكون شامل .

قال عامر : الحمد لله .

نظر إليه عارف فى تساؤل فضحك عامر قائلاً : الحمد لله أنهما لم يفكرا فى عالية ، فهما قد راقبا الفيلا وعلما أننا ثلاثة ولسنا اثنين .. ولعلهما ظنا أن عالية لم تأت معنا .

قال عارف : هل تظن أن عالية انصرفت عائدة لمدينة نصر ؟

رد عامر : أعتقد ذلك فقد مضى أكثر من ساعة منذ دخولنا « الطابية » ، ولابد أنها عادت مع « روميل » لتتصل بالعميد « ممدوح » .

عارف : أرجو ألا يتأخر العميد « ممدوح » ورجاله فقد بدأت بطنى تطالبنى بالعشاء ، وأنا عادة أحب الاستجابة إلى مطالبها سريعًا !

ابتسم عامر لعارف الذى لم يفقد مرحه حتى فى تلك اللحظات ، وأغمض الاثنان أعينهما إلى أن انتبها على صوت يلهث أمام وجهيهما .

فتح المغامران عينيهما فى دهشة . وكانت المفاجأة .

كان « روميل » ومعه عالية !!

كاد عارف يهتف من فرط الدهشة ، فأشارت له عالية بأن يصمت ثم أسرعت تحل وثاقه ووثاق عامر .

تساءل عارف : كيف دخلت هنا .. هل جاء العميد « ممدوح » ورجاله ؟

ابتسمت عالية وأجابت فى شبه همس : لم يمض سوى ساعة وعشر دقائق فقط منذ دخولكما « الطابية » ، ولم يتسع الوقت لى لأفعل شيئا آخر ، غير التسلل إلى هنا .

قال عامر : إذن فقد غامرت بالدخول مع « روميل » عندما لم نعد بعد ساعة ؟

هزت المغامرة الشجاعة رأسها وهى تحل وثاق أسعد الذى انتبه هو الآخر على صوتها .

قالت عالية محدثة أسعد : سنحاول الخروج من هنا بدون أن تسمعنا العصابة .. لا تُحدث صوتًا .

هز أسعد رأسه فى فهم ، وشرع الجميع فى هبوط السلم بحذر شديد ، بينما ابتعدت القطة عن السلم وراحت ترمقهم فى فضول ، وخاصة « روميل » الذى كان قد وضع الخطط لمهاجمتها ، لولا أن سارعت عالية بإحباط هذه الخطط بإشارة تحذره فيها بيدها ، فطأطأ « روميل » رأسه وتجاهل وجود القطة مرغمًا !

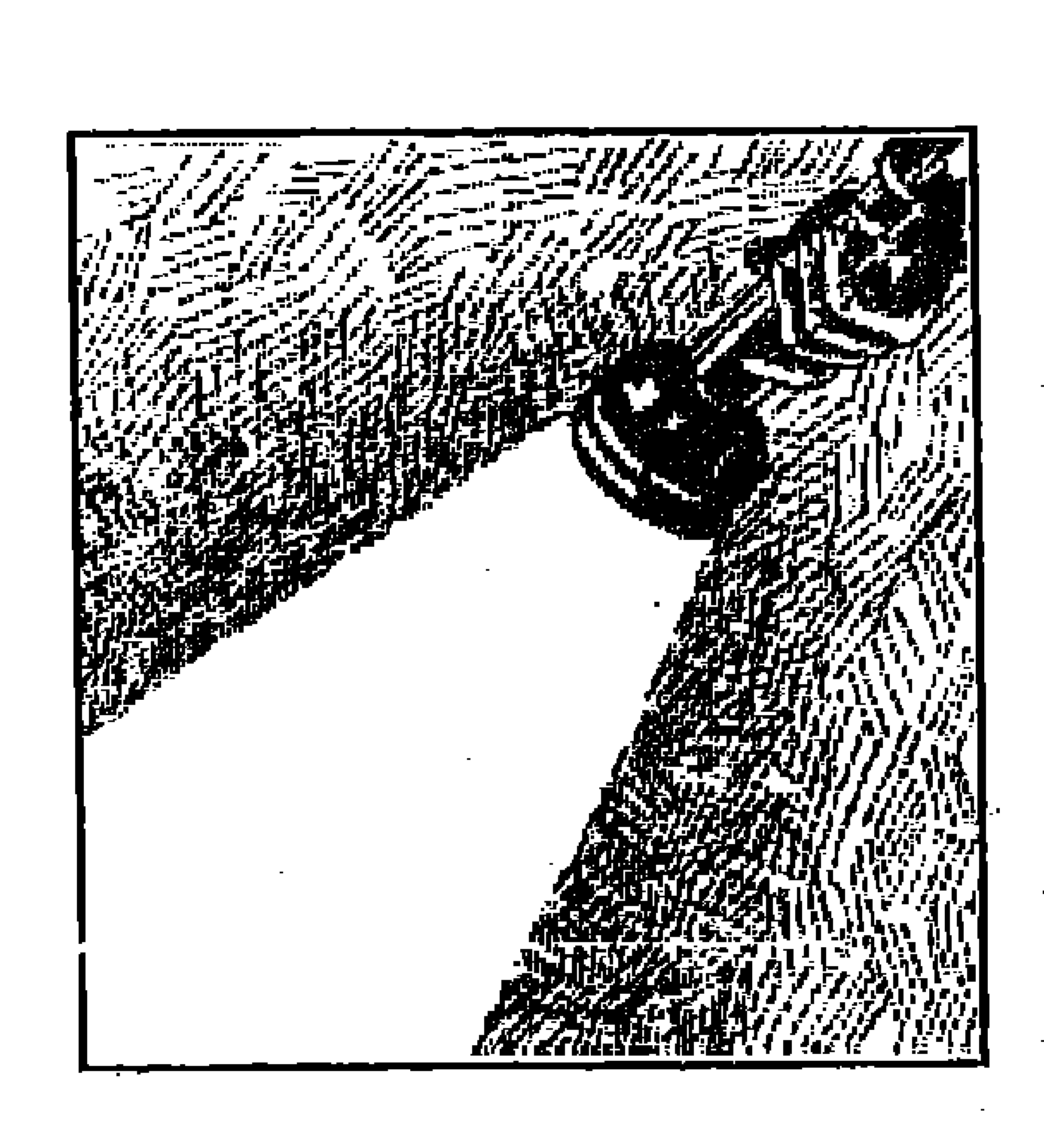
وفتح المغامرون الباب الخلفى بدون صوت ، وخلال دقائق

كانوا يعدون عبر الرمال مبتعدين عن الطابية ومعهم أسعد ، وعندما وصلوا إلى شارع العقاد ، توقف عامر فى دهشة متسائلاً :

أين أسعد .. لقد اختفى ؟

انتبه عارف ونظر حوله فى حيرة بينما ضحكت عالية وهى تقول : إنها عادته التى لا يتخلى عنها ، فهو يختفى فى اللحظة المناسبة دائمًا .. ولا شك أنه سيظهر قريبا ككل مرة .

قال عارف : المهم أن نصل للمنزل بسرعة ونتصل بالعميد « ممدوح » ليقبض على العصابة قبل أن تتنبه لغيابنا وهربنا .




العقيد « ممدوح »

وفى التاسعة مساء اتصل المغامرون بالعميد « ممدوح » فى منزله وأخبروه بتفاصيل مغامرة الليلة ، فأصدر العميد أوامره بالقبض على عصابة « الطابية » ، وفى العاشرة والنصف أخبرهم العميد بواسطة التليفون أنه تم القبض على « لطفى و « جعفر » ، أما أسعد فلا أثر له ولم يجدوه فى « الطابية » .

كان عامر وعارف هما من تلقيا المكالمة التليفونية من العميد « ممدوح » ، على حين تركتهما عالية منذ وقت ، فقال عارف لأخيه : يجب أن أخبر عالية بنبأ القبض على العصابة .. أين هى ؟

رد عامر : إنها فى الحديقة منذ نصف ساعة ولا أدرى ماذا تفعل هناك ، خاصة ووالدانا مسافران وسوف يبيتان خارج المنزل .

هبط عارف لأسفل فقابلته عالية فسألها : ماذا تفعلين فى الحديقة فى هذا الوقت يا عالية ؟

ردت عالية فى تساؤل : ماذا تفعل أنت إذا أردت أن تكش الملك ؟ أقصد « ملك الشطرنج » ؟

نظر إليها عارف بدهشة ثم أجاب : أهاجمه فى أكثر من ناحية .

ردت عالية فى ابتسام : أما أنا فأتركه يقع فى المصيدة ويقتل نفسه بدون أن أهاجمه !

ثم اتجهت لغرفتها وعارف ينظر إليها فى تعجب ، دون أن يفهم معنى كلماتها .

* * *

وجلست عالية فى الفراندة تقرأ تحت ضوئها الكهربائى وقد اقتربت عقارب الساعة من الثانية عشرة مساء ، فسمعت صوتًا خفيفًا كأنه صوت أقدام تسير محاذرة فوق أوراق الشجر فى الحديقة ..

هبطت بسرعة وفتحت باب الفيلا الداخلى وأطلت نحو الحديقة ، وقد تدلى بجوارها حبل يمتد من باب الفيلا وحتى باب الحديقة .

كان أسعد واقفًا تحت نفس الشجرة التى اعتادت أن تراه تحتها .

ابتسمت عالية وقالت تحدثه وهى فى مكانها بباب الفيلا : أخيرًا عدت يا أسعد .. لقد كنت أنتظرك .

نظر إليها أسعد بحدة ولم يرد ، بينما راح « روميل » ينبح تجاهه ويحاول أن يفلت من السلسلة المربوطة فى رقبته إلى الكوخ .

استيقظ عامر وعارف وهبطا لأسفل ليستطلعا سبب نباح « روميل » غير العادى .. ففوجئا بظهور أسعد مرة أخرى ، ولم ينتبها إلى الحبل المدلى بجوار عالية .

ووقف المغامرون الثلاثة أمام باب الفيلا يتطلعون لأسعد المجنون فى دهشة وتساؤل .

قالت عالية : انتهى الدور يا أسعد ، لقد قبض البوليس على « جعفر » و « لطفى » وتخلصت منهما كما كنت ترغب ، وتكسرت « البيادق » ولم يبق سوى « الملك » !

ثم ابتسمت وقالت : الآن تستطيع أن تعود إلى شخصيتك الحقيقية وتتخلى عن شخصية المجنون ، فلم يعد منها فائدة لك .

لم يرد أسعد ووضع يده داخل حزامه ثم أخرج مسدسًا التمع تحت ضوء القمر .

قال أسعد بصوت عميق واضح : لا أريد أن أسبب ضررًا لأحد منكم ، فلا تأتوا بحركة طائشة حتى لا تندموا .

ثم أشار إلى عالية قائلاً : حلى قيود هذا الكلب من مكانه وخذيه داخل الفيلاّ وإلا قتلتك فأطاعته عالية بدون تردد ثم عادت تقف مع أخويها ، و « روميل » يزمجر بشدة من الداخل .

اقترب أسعد من كوخ « روميل » الفارغ ثم أزاحه بيده ، وأشار لعامر وعارف بأن يحفرا أسفله بواسطة مجرفة فى أحد الأركان .. فأطاعه المغامران فى أمره . وبعد دقائق ظهرت من الحفرة حقيبة سوداء .

قالت عالية فى تهكم : إذن فقد كانت حقيبة النقود المسروقة فى هذا المكان طوال الوقت تحت سمعنا وبصرنا دون أن ندرى .

قال أسعد فى سخرية : وها هى ستخرج من هنا أيضا تحت سمعكم وبصركم !

ثم اتجه ناحية باب الفيلا الخارجى وهو يشهر مسدسه فى وجوه المغامرين .

كاد أسعد أن يتجاوز باب الفيلاَّ عندما صاحت عالية تناديه بصوت آمر :

– أسعد .. انتظر لحظة .

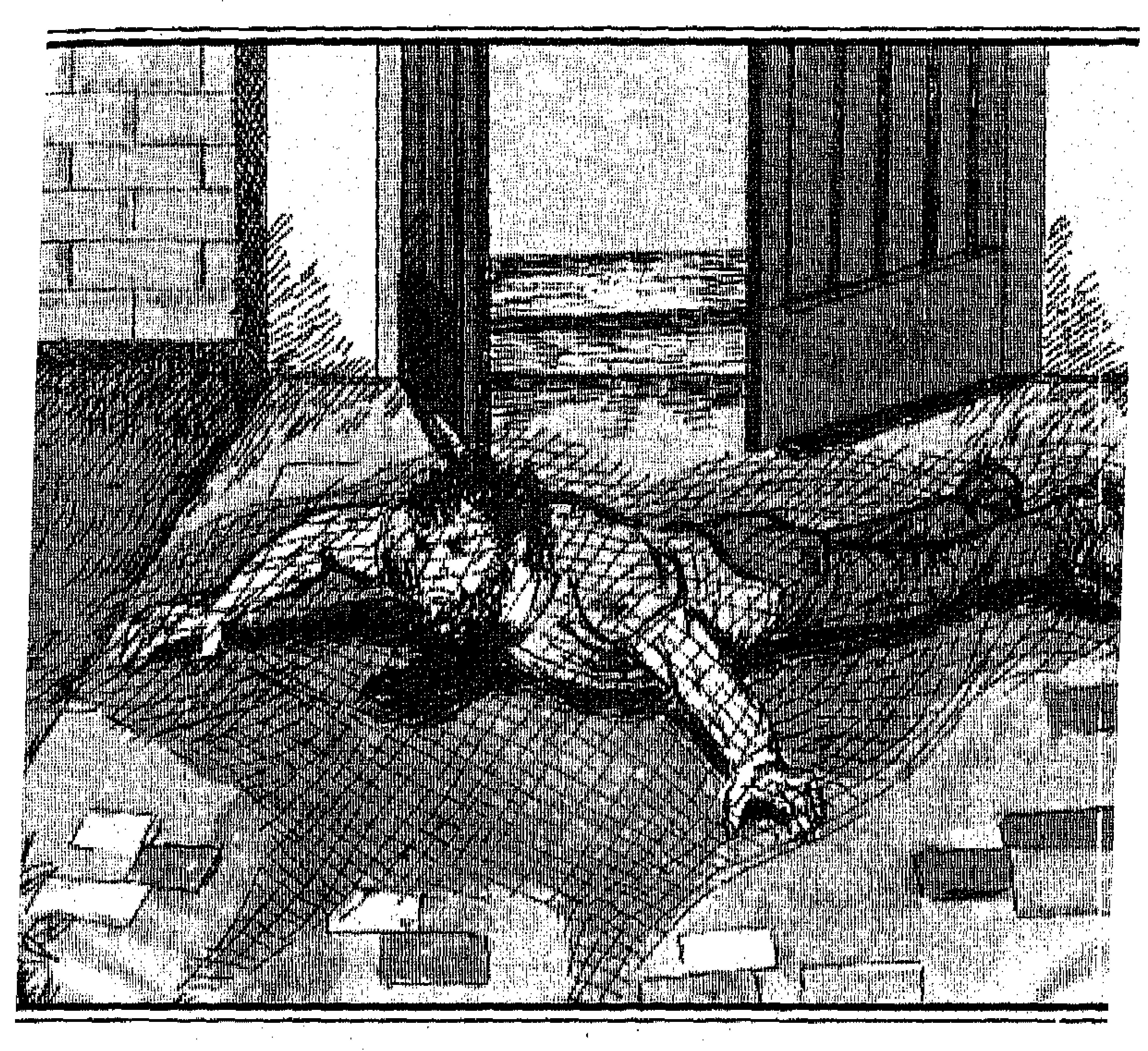
وقف أسعد يحدق فى عالية لحظة تحت تكعيبة العنب فى مدخل الفيلاَّ .

وفى نفس اللحظة . وقبل أن يفيق أسعد من دهشته ويخرج للشارع . جذبت عالية حبلاً كان معلقًا بجانبها ، وفى الحال سقطت شبكة كبيرة قديمة فوق أسعد وشلت حركته تمامًا .

هتف عارف فى سعادة طاغية : يا لك من بارعة يا عالية ، بينما قال عامر محذرًا : حاذر يا عارف من هذا المجرم الذى يمتلك مسدسًا ويستطيع إصابتنا .

ألقى عارف بنفسه على الأرض ، بينما ضحكت عالية ضحكة عالية وهى ترى ذلك المشهد ، وقالت محدثة عارف : لا تخف يا عارف فالمسدس خال من الرصاص ! ثم وضعت يدها فى جيب منامتها وأخرجت بضع قطع معدنية راحت تلتمع فى ضوء النجوم وقالت : إن رصاص المسدس معى !

نظر أسعد إلى عالية فى حقد شديد وهو يحاول الخروج من الشبكة بلا فائدة .



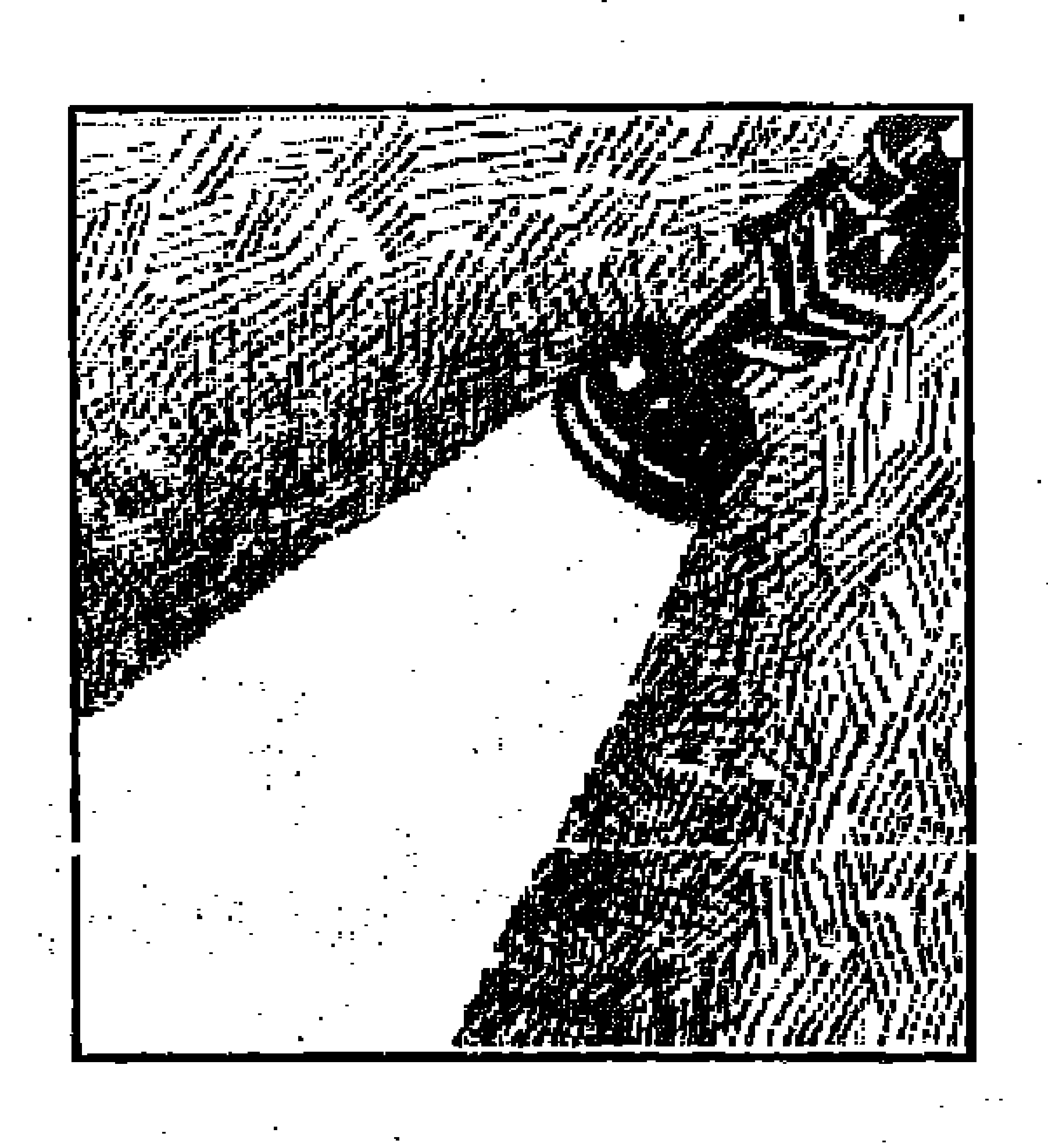
جذبت عالية حبلاً كبيرًا فسقطت شبكة كبيرة على أسعد أفقدته حركته .

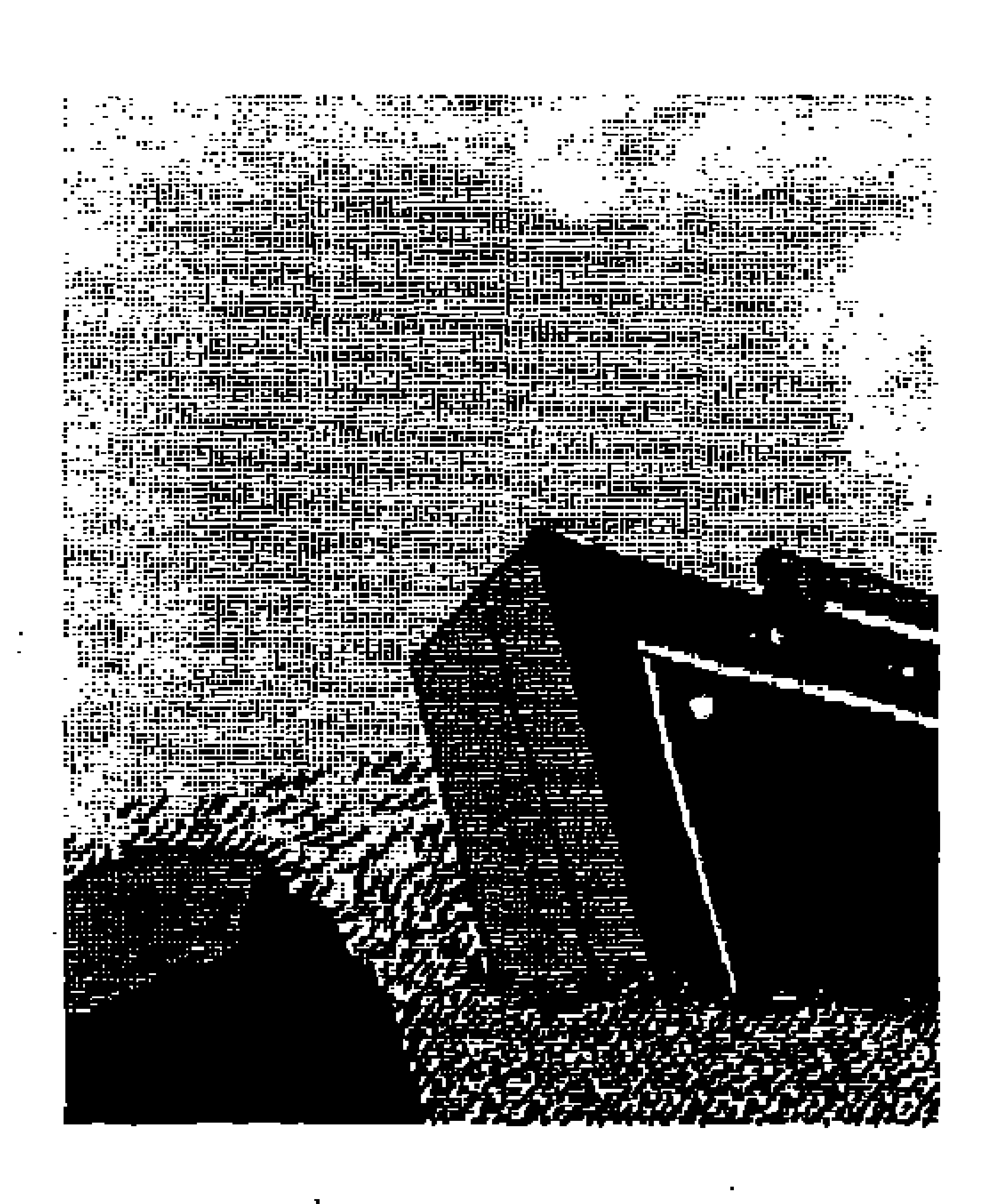
قال عامر : سأتصل بالعميد « ممدوح » ليأتى ويقبض على أسعد .

اعترضت عالية قائلة : يكفى ما سببناه للعميد من إزعاج هذا المساء فالساعة تجاوزت منتصف الليل ولابد أنه نائم الآن .

وأشارت إلى « روميل » الذى قفز إلى الحديقة من نافذة مطبخ الفيلا ، ووقف يزوم فى غضب هائل نحو أسعد الملقى داخل الشبكة ، وقالت عالية : لا شك أنه سيسعد « روميل » أن يقوم بحراسة أسعد حتى الصباح !

ثم اتجهت لغرفتها وهى تتثاءب وفى يدها حقيبة النقود !





وفى الصباح حضر رجال العميد « ممدوح » وألقوا القبض على أسعد وحصلوا على حقيبة النقود ، واتصل العميد بالمغامرين تليفونيا وأخبرهم أنه سيقابلهم فى كافتيريا « الشيراتون » فى الثانية عشرة ظهرًا .

وكانت تصرفات عالية الغريبة بالأمس سببًا فى أن يلح أخواها عليها ليعرفا كيف استطاعت أن تعلم أن أسعد ليس مجنونًا ، وكيف استطاعت الحصول على طلقات الرصاص من مسدس أسعد .

ولكن عالية رفضت قائلة : إنها لن تكشف كل شىء إلا حين مقابلة خالهم العميد « ممدوح » !

وفى الكافتيريا المطلة على النيل بالشيراتون طلب العميد « ممدوح » للمغامرين مشروب عصير البرتقال المثلج ، وهو

يخبرهم أن أسعد الذى قبض عليه متلبسًا وجد أنه لا فائدة من الإنكار ، فاعترف بأنه خبأ حقيبة النقود فى الفيلاً بعد أن خدع زميليه اللذين اعترفا عليه ، وعادت النقود لصاحبها المليونير التى سرقتها العصابة منه من قبل .

وابتسم وهو يقول العالية : والآن . أعتقد أن من حقنا أن نعرف كيف استنتجتِ أن أسعد ليس مجنونًا ، واستطعتِ إيقاعه ببساطة .

اتسعت الابتسامة على وجه عالية وشردت عيناها إلى النيل الذى يجرى تحتها ثم قالت : فى البداية ، وعندما قابلت أسعد لأول مرة فى حديقة فيلّتنا الجديدة لم أشك لحظة أنه ليس مجنونًا ، فأشفقت عليه ثم أحضرت له بعض الطعام ، ولكنه نطق أمامى ببعض الكلمات التى أثارت حيرتى ، وحفزّت فىّ غريزة المغامر وذلك عندما سمع صوتًا أخافه . وكما ظهر أسعد فجأة اختفى فجأة ، وقلت فى نفسى إنه ربما دخل فيلتنا بطريق الصدفة ، ولعله أراد أن يستريح أو ينام تحت ظل أى شجرة بالحديقة ولذلك فقد دخل الفيلا واختبأ خلف إحدى الأشجار .

وصمتت لحظة ثم أضافت : ولكن كما قلت فإن غريزة المغامر كانت منتبهة ، ولذلك فقد تناقش المغامرون الثلاثة فى معنى

كلمات أسعد ، ثم اتصلنا بحضرتك . وبعدها علمنا المعلومات الضرورية عن أسعد . تلك السرقة التى خطط لها ثم خديعته لشريكيه ، واختفاؤه بالنقود ثم عثور شريكيه عليه وتعذيبهما له ، فيجن ويهرب حتى يدخل مستشفى المجانين والعصابة لازالت تطارده ..

هذا كل ما حصلنا عليه من معلومات . ولم تكن كافية . كان لابد أن نعلم معنى كلمات أسعد وأن نحاول استدراجه للحديث .

غارف : ولهذا أردت الذهاب إلى أسعد فى المستشفى يا عالية .. وهناك أعطانا أسعد لغزًا صغيرًا ليختبر به ذكاءنا .

أكملت عالية باسمة : كان اللغز الصغير هو « ما هو المكان الوحيد الذى يبيت فيه الملك » ثم قال عليك أن تسيرى باستقامة وتنحرفى بنفس الاستقامة !

عامر : ولكننا استطعنا حل هذا اللغز الصغير أو هذه الفزورة : فلم يكن المقصود بالملك الملك العادى بل ملك « الشطرنج » ، ولم يكن المقصود بالمكان الذى يبيت به بل المكان الذى يبيت بجواره ، وكانت « الطابية » هى الوحيدة التى يبيت الملك بجوارها ، علاوة على أنها الوحيدة التى تسير باستقامة وتنحرف باستقامة أيضا وهى قواعد لعبة الشطرنج !

أضافت عالية : وقبل أن نكتشف معنى كلمات أسعد وبعد عودتنا من المستشفى فوجئت به داخل الحديقة ثانية ، وكنت وحدى فى الفيلاً أيضًا ، وتساءلت بشدة ، لماذا عاد أسعد ثانية للحديقة ، لابد أن بها شيئًا ما يجذبه إليها ، وبفرض أنه كان يختبىء بها أو بالفيلاً قبل أن نسكن فيها ، فما معنى عودته لها لثانى مرة .. إنها لا يمكن أن تكون مصادفة ، ووجدتها فرصة لأن أسأله عن معنى كلماته ، ولكنه اتهمنى بأننى « غبية » !!

وصمتت عالية لحظة وعلى وجهها ابتسامة صغيرة ، وقالت بعدها : وجاء رجُلا العصابة ليمثلا دور ممرضى المستشفى ، واستطاعا خداعى وأخذا أسعد تحت سمعى وبصرى ، وكنت غبية فعلا ، لأننى لم أفكر وقتها فيمن استدعاهما أو ما سبب اختلاف لون عربتهما عن العربة السابقة الخاصة بالمستشفى ، وتذكرت كلمات أسعد ولمت نفسى بشدة . ثم استطاع المغامرون بعدها ، تفسير معنى كلمات أسعد بخصوص الطابية .

عامر : واستطعنا معرفة مكان « الطابية » ووجدنا بها أسعد ، وفككنا وثاقه ثم خرجنا منها وهنا اختفى أسعد ثانية بنفس الطريقة العجيبة التى كان يظهر بها .

وفى بساطة أكملت عالية : ولكن اختفاءه هذه المرة لم يزعجنى على الإطلاق !

العميد ممدوح : كيف يا عالية ؟

عالية : لأننى كنت أتوقع ذلك .

عارف : لا بأس يا عالية . أكملى .

عالية : كنت قد فكرت بشدة لماذا يعود أسعد إلى حديقة فيلتنا بالذات ، ولماذا يختفى تحت نفس الشجرة ؟ ، واستنتجت أن هناك سرا ما تحت تلك الشجرة ، وبالفعل ما أن عدنا من « الطابية » ليلة أمس ، حتى اتجهت إلى الشجرة التى اعتاد أسعد أن يجلس تحتها فى حديقتنا ، وبحثت حولها ، فعثرت على مسدس صغير مخفى تحت بعض أوراق الأشجار ، وخمنت أنه يخص أسعد ، فتأكدت أنه ليس مجنونًا وأنه استطاع خداع الجميع وحتى أطباء مستشفى الأمراض العقلية بتمثيله دور المجنون بإتقان شديد ، وكان يمكننى أن آخذ المسدس وأخفيه ولكن كنت أعلم أن أسعد سيعود ليحصل عليه وعلى النقود التى توقعت أن تكون بمكان ما فى الحديقة أو الفيلاً ، وإلا ما أتى أسعد للحديقة أكثر من مرة ، وكان فى كل مرة يهدف للحصول على النقود ، ولكن فى المرة الأولى شاهدته أنا قبل أن يتمكن من ذلك ، ثم

اختفى عندما جاء عامر وعارف قبل أن يحصل على الحقيبة .
وفى المرة الثانية لم يستطع الحصول عليها أيضا بسبب وجود « روميل » فى كوخه ، وخوفه من الكلاب .

ولذلك قررت أن أترك المسدس لكى يشعر أسعد بالأمان ، وأن سره لم يفتضح ، فيسارع بالحصول على الحقيبة فنعرف مكانها لأننى كنت أقوم بمراقبة المكان .. ولكن الشىء الذى لم يعرفه هذا المجرم ، هو أننى كنت قد أعددت له مصيدة لا تخطر على البال !

سكتت عالية فقال عارف فى حماس : وبعد يا عالية ؟

وابتسم لها العميد « ممدوح » مشجعًا فقالت عالية : لقد أخرجت الرصاص من المسدس لأضمن ألا يستخدمه أسعد ضدنا ، وتركت المسدس حتى يطمئن عند عودته إلى أن سره لا يزال مخفيا عنا ، ثم وضعت شبكة الصيد القديمة التى وجدناها فى « المقر » تحت تكعيبة العنب عند باب الحديقة الخارجى .

قال العميد مندهشًا : وما هو المقر ؟

عارف : إنها غرفة اجتماعات المغامرين فوق السطوح !

عالية : وثبتت الشبكة بحيث أننى أوصلتها بحبل يمتد من الحديقة حتى باب الفيلاً الداخلى ، وما أن أجذب الحبل حتى

تقع الشبكة . وعندما جاء أسعد وحصل على النقود المسروقة وحاول الهرب ، اتجه إلى باب الفيلا وهو آمن على نفسه ، فجذبت حبل الشبكة المعلقة فوق باب الفيلا ، فسقطت فوقه وشلت حركته ، وكان مسدسه خاليا من الرصاص فلم يؤذنا .

رمق العميد « ممدوح » عالية فى إعجاب وقال : أنت رائعة يا عالية !

عالية : لقد ارتكب هذا المجرم غلطة وحيدة جعلتنى أصمم على الإيقاع به وكشف سره .

تساءل عارف فى دهشة : ما هى تلك الغلطة يا عالية ؟

أجابت عالية فى ثقة : ألم تعرفها بعد .. لقد اتهمنى هذا المجرم بأننى « غبية » .. وأردت أن أثبت له العكس ونكشف حقيقته وسره .. وها هو يدفع ثمن غلطته خلف القضبان !

* * *

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٥١١٢
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4110 – 5	ISBN

١ / ٩٢ / ٣٨٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



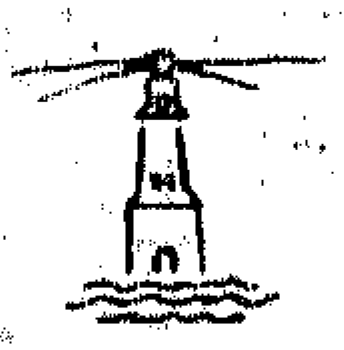


عارف عالية عاطف

سرقة غامضة عجيبة كان بطلها رَجُلاً مجنوناً تطارده عصابة من الأشرار .. وهرب أسعد المجنون من مستشفى الأمراض العقلية ، واختار « ڤيلا » المغامرين ليختبئ فيها .. فلماذا اختار « ڤيلا » المغامرين بالذات ؟!

ولماذا كان يظهر لفلفل وحدها كل مرة ؟!

وكيف اهتدت « فلفل » إلى حل لغز المجنون ؟!



دار المعارف